عضو أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة

علاقة المقسم به والمقسم عليه
دراسة دلالية تطبيقية فى القرآن الكريم

دكتور

عبده زيدان على أحمد

المدرس بقسم اللغة العربية

كلية التربية – جامعة المنصورة

الثقافة والتنمية العدد الحادي والعشرون أبريل ٢٠٠٧م

علاقة المقسم به والمقسم عليه
دراسة دلالية تطبيقية فى القرآن الكريم

دكتور/عبده زيدان على أحمد
المدرس بقسم اللغة العربية- كلية التربية بالمنصورة

مقدمة:

والصلاة والسلام على خير البرية أجمعين محمد بن عبد الله الصادق الأمين على آله وصحبه أجمعين ٠

وبعد ٠٠

فمن عادات العرب القسم؛ فإذا أرادت أن تؤكد أمراً أقسمت٠ وجاء القرآن الكريم وقد تعددت فيه الأقسام ما بين ظاهر ومضمر، وأكثر الأقسام فيه محذوفة الفعل لذا تصدرت بالواو٠ كما أن هناك ألفاظا جارية مجرى القسم ولم يتطرق البحث إلا لما هو ظاهر ومصدر بالواو ٠ التى أقسم الله فيها بنفسه ومخلوقاته على أمور كثيرة، وإن كان قد نهى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يقسم الإنسان بغير الله حيث قال : " من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت"(١).

لكن الله جل وعلا فوق كل شىء وله أن يقسم بما خلق تعظيما له جل وعلا لأن هذه المخلوقات دالله على قدرته وعظمته إذ هو خالقها وبارئوها ٠

وقد تعدد المقسم عليه أيضا ، فقد أقسم الله على أمور كثيرة منها صدق الرسول ــ البعث ــ حال الإنسان ٠٠ ألخ ٠ فلما تعدد المقسم عليه تعدد المقسم به للتناسب والتطابق٠

الدراسات السابقة :

تناولت كتب النحو القسم وأدواته والصور التى يأتى عليها فلا داعى لأن تتطرق الدراسة إلى ذلك ٠

غير أن هناك كتابا لابن القيم تحت عنوان "التبيان فى أقسام القرآن" تعرض لما نحن بصدده ولكن لكثرة الأقسام فى القرآن وخاصة الكونية والتى يكتشف العلم الحديث كل يوم جديدا عنها يؤيد ويؤكد رسالة محمد ــ صلى الله

---

(١) انظر : شرح صحيح مسلم ١٥٢/١١ من حديث ابن عمر عن أبيه ٠

عليه وسلم ــ وعالميتها، وصدقه لما يشاهد ويرى بعد أن كان غائبا عنا جعلنى أدقق النظر فى الأقسام مرة أخرى لايجاد العلاقة بينها وبين المقسم عليه فى ضوء المستجدات المكتشفة حديثا مما يظهر لنا العلاقة التى غابت عى الكثير لولا اكتشافها حديثا مثل ذلك ما قيل عن النجوم وطبقات الجو وغيرها مما سنتعرض له فى حينه .

كما أن صاحب الإتقان قد جعل النوع السابع والستين للحديث عن الأقسام فى القرآن ولم يتعرض للعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه،وهناك كتاب تحت عنوان القسم فى الحديث الشريف دراسة تطبيقية على صحيح البخارى ولم يتعرض لما فى القرآن الكريم من أقسام وكانت الدراسة نحوية أكثر منها دلالية.

سبب اختيار البحث :

لما نظرت إلى تعدد الأقسام فى القرآن الكريم وتنوع أجوبتها، قلت لا بد فى ذلك من حكمة اقتضت أن يكون هذا المقسم به فى هذا المكان مع غيره ويكون جواب القسم كذلك فلا بد من مناسبة بينها؛ ولما رأيت قصور الكتب السابقة عن إظهار هذا الأمر خلاف كتاب "التبيان فى علوم القرآن" وتفسير الألوسى الذى كان يشير إلى العلاقة ولكن فى قليل من الأقسام،

مع الثروة العلمية الهائلة التى أوضحت معظم ما غمض على السابقين من العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه أردت أن أربط لغويا بين الدراسة فى كتب التراث [التفسير وما تطرق إلى الأقسام فى القرآن كالتبيان] وما وصل إليه العلم الحديث فى الكون والذى يكشف لنا عن حقائق كونيه تساعدنا فى تفسير وبيان العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه لذلك كان هذا البحث،

خطة الدراسة :

يتناول هذا البحث الأقسام فى القرآن الكريم الأقسام الكونية والأقسام الحياتية الظاهر منها لا المضمر[1] ــ ولا يتطرق إلى إداواته وأفعاله وأنواعه إذ كتب النحو تكفلت بذلك .

---

(١) والقسم نوعان ظاهر أو مضمر، والمضمر قسمان قسم دلت عليه اللام نحو : لتبلون فى أموالكم، وقسم دل عليه المعنى نحو :وإن منكم إلا واردها تقديره والله .
انظر : الاتقان فى علوم القرآن ٣٥٢/٢ .

ولم يتطرق البحث إلى الأقسام الجارية مجرى القسم[1]، وإنما البحث في الأقسام الظاهرة التى تصدرت بواو القسم والتى لها جواب قسم قد يكون ظاهراً، وهذا الأغلب وقد يكون غير ظاهر وذلك لعلة يقتضيها السياق، وهذا ما سوف يوضحه البحث أيضا.

وقد جاء البحث فى خمسة مباحث على حسب جواب القسم.

المبحث الأول : القسم ووحدانية الله وعظيم قدرته .

المبحث الثانى : القسم والقرآن الكريم .

المبحث الثالث : القسم والرسول المبين .

المبحث الرابع : القسم والقيامة وما يتبعها من بعث وجزاء .

المبحث الخامس : القسم والإنسان .

والناظر إلى هذه الأقسام يرى أن المولى عز وجل قد أقسم بما فى الكون من مشاهد على وحدانيته تعالى وعلى صدق رسوله الكريم بما بلغ عن رب العالمين من خلال القرآن العظيم كل ذلك فى خدمة الإنسان وجعله يرى عيانا الآيات الدالة على صدق الرسول وحقيقة القرآن بما فيه من أخبار عن الحساب والعقاب وما فى الكون من أيات تجعل الانسان يخر ساجدا لرب السموات والأرض.

---

(١) والألفاظ الجارية مجرى القسم ضربان أحدهما ما تكون كغيرها من الأخبار التى ليست بقسم فلا تجاب بجوابه كقوله تعالى : (وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين " ، " ورفعنا فقوكم الطور خذوا"

" فيحلفون له كما يحلفون لكم وهذا يجوز أن يكون قسما وأن يكون حالا لخلوه من الجواب والثانى : ما يتلقى بجواب القسم كقوله : " إذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينه للناس" ، وقوله تعالى : " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن".

انظر : الإتقان فى علوم القرآن ٣٥٣/٢ .

المبحث الأول

القسم ووحدانية الله وعظيم قدرته

وجاءت فى ست مواضع :

الأول : ما أقسم الله به على وحدانيته جل وعلا، **والثانى** : القسم على قدرته جل وعلا فى الخلق من تبديل وتغيير وخلق لما هو أعز شأنا وأفضل عند الله، **والثالث** : على قدرته العظيمة المتتبعة للطريقة التى بها يصعد الإنسان إلى الكواكب الأخرى من قمر وغيره بجعل العاقل يسجد لما فى الآيات على عظيم قدرته ، والرابع : بيان أن ما أقسم الله به من بديع صنعه فى أنه ليس هناك قسم بعد ما أقسم وذلك لمن يعقل ، **والخامس**: بيان ما أقسم به على أنه من الآيات العظيمة الكبرى فى خلقه **والسادس**: معرفته بكل ما يجرى جل وعلا فى الكون.

الآيات:

* قال تعالى : (وَالصَّافَّاتِ صَفاً فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ)[الصفات : ١ــ٤].

اللغة :

صف : يدل على أصل واحد هو الاستواء فى الشىء وتساو بين شيئين فى المقر ، ومن ذلك الصف يقال : وقفا صفا إذا وقف كل واحد إلى جانب صاحبه، واصطف القوم : تصافوا والأصل فى ذلك هو المستوى من الأرض[1].

زجر : الزجر : المنع والنهى يقال زجره وازدجره فانزجر وازدجر ، والزجور من الإبل التى تعرف بعينها وتنكر بأنفها، والزجر : العيافة وهو ضرب من التكهن ،

---

(١) مقاييس اللغة "صف" .

تقول : زجرت أنه يكون كذا وكذا ، وزجر البعير : ساقه[١].

والزاجرات زجراً : الملائكة تزجر السحاب[٢].

زجرت الناقة بما فى بطنها زجراً رمت به ودفعته[٣].

تلى : أصل واحد وهو الاتباع يقال : تلوته إذا تبعته ومنه تلاوة القرآن لأنه يتبع آية بعد آية[٤].

فى التفسير :

أقسم الله بالملائكة تصف فى السماء فى عباد الله عز وجل، وقيل: المراد صفوف بنى آدم فى القتال فى سبيل الله ٠اللفظ يحتمل أن يعم هذه المذكورات كلها، والزاجرات : هى الملائكة تزجر السحاب وغير ذلك من المخلوقات، وقيل هى آيات القرآن٠

والتاليات ذكراً : القارئات وقيل : الملائكة ، وقيل : بنى آدم الذين يتلون كتبه المنزله، وتسبيحه وتكبيره، ونحو ذلك والمقسم عليه قوله تعالى : (إن إلهكم لواحد)[٥].

وقيل الصافات : هى الطيور ودليله قوله تعالى : (وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ)[النور: ٤١]

والتاليات ذكرا قيل هم الأنبياء يتلون الذكر على أممهم[٦].

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه :

الطيور تصف فى السماء وتشاهد فى السماء فى صفوف منتظمة لها العجب تدل على قدرة الله الواحد الذى ألهم هذه المخلوقات كى تسير فى دقة متناهي٠

---

(١) الصحاح ، باب الراء فصل الزاى والجيم ٠

(٢) القاموس المحيط، زجر ٠

(٣) لسان العرب ، زجر ٠

(٤) مقاييس اللغة ، تلو ٠

(٥) تفسير الثعالبى ١٣/٤ ٠

(٦) القرطبى ٦١/١٥ ٠

والسحاب وهى تسير فى جو السماء تأتى بالخير لبعض الخلق وبالهلاك لآخرين زجرا على ما يفعلون وما فى الآيات القرآنية من زواجر ونواه يسجد لها كل عاقل، وكذلك فى إرسال الله الرسل وتتابعهم يذكرون الناس بالله الخالق حيث لم يأت منهم من أخبر بأن هناك أكثر من إله كل ذلك يتفق وجواب القسم فى إثبات قدرة الله ووحدانيته فيما أقسم به، وكلها دالة على وحدانيته وعدم إشراك غيره معه ٠ وأكد ذلك بقوله بعد ذلك رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق لأن ما تقدم حدث فى ملكه جل وعلا سماء وأرضا وجواً، ولم يكن من يدعى ملك هذه المخلوقات أو فعل ما أخبر به المولى مما أقسم به، فسبحان الله الإله الواحد الخالق القادر المالك لكل شىء٠

* (فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) [المعارج : ٤٠، ٤١]٠

فى التفسير :

للشمس كل يوم مشرق ومغرب، وذلك أن الله تعالى خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة فى مطلعها، ومثلها فى مغربها على عدد أيام السنة الشمسية ٠

تطلع فى كوة وتغرب فى كوة لا تطلع فى تلك الكوة إلا فى ذلك اليوم من العام المقبل ولا تطلع إلا وهى كارهة[1]٠

ومعنى الآيات : أأقسم بمشارق الشمس ومغاربها ٠ أننا نقدر على إهلاكهم والذهب بهم والمجئ بخير منهم فى الفضل والطوع والكمال، ولا يفوتنا شىء ولا يعجزنا أمر نريده[2]٠

فقد أقسم برب المشارق والمغارب، وهى : إما مشارق النجوم ومغاربها، أو مشارق الشمس ومغاربها ولأن كل موضع من الجهة، مشرق ومغرب[1]٠

---

(١) القفرطبى : ٦١/١٥ ٠

(٢) القرطبى : ٢٩٥/١٨ ٠

فى العلم الحديث :

يقسم الحق سبحانه، رب المشارق والمغارب ، بنفسه من غير تحديد ولا تعيين للمشارق والمغارب، وهو ما ينصرف معه المعنى إلى كل المشارق والمغارب، فللقمر على الأرض شروق وغروب، وللشمس على القمر، بل على كل أقمار المنظومة الشمسية، شروق وغروب كذلك مثلما هى لها على الأرض وباقى الكواكب السيارة.

كما أن للنجوم الأخرى مشارق ومغارب علينا، وعلى ما قد يكون لها من كواكب سيارة وأقمار.

وعلة كل شروق وغروب، بالإضافة إلى مصدر الضوء نفسه؛ هى دوران الأجرام السماوية حول نفسها مما يعرضها إلى هذا وذاك، فكلما وجد دوران للجرم حول نفسه، وجد شروق وغروب وهو قانون إلهى للمشارق والمغارب، فإننا نجد من ورائه إعجاز آخر، وهو دوران كل شىء خلقه الله فى الكون حول نفسه(٢).

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه :

قال تعالى : (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)(٣).

هذه الآية تدل على أن الكون دائما فى اتساع فإذا كان كذلك فإن مشارق ومغارب كل يوم أو كل عام تختلف عن اليوم السابق والعام السابق وهكذا باستمرار.

فاقسم رب العزة باختلاف المشارق والمغارب فى كل يوم عما قبله وعما بعده للكواكب والنجوم والأجرام السماوية وغيرها ليبرهن على قدرته على التغيير للبشر الذى خلقهم . فالتبديل والتغيير من صفاته تعالى يغير ولا يتغير

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن ١/٣٥١ .

(٢) اسرار الكون فى القرآن ص ٩٨ .

(٣) سورة الذاريات الآية ٤٧ .

فها هى قدرته على تغيير ما هو أصعب من خلق الناس كما قال تعالى لخلق السموات والأرض أصعب من خلق الناس فأهون عليه أن يخلق بشراً غير المعاندين المعارضين العصاه، ويكونون على عكس من ذلك أطوع وأعبد وأقرب لله ولرسله فاحذروا وآمنوا واستجيبوا لله ولرسوله .

* قال تعالى : (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ)[الذاريات:٢٢ ــ٢٣]

فى التفسير :

قيل المراد بالسماء : السحاب، وبالرزق المطر؛ فإنه سبب الأقوات[١].

وقيل عند الله رزقكم، وقيل المعنى : وفى السماء تقدير رزقكم وما فيه لكم مكتوب فى أم الكتاب[٢].

وما توعدون من خير أو شر وقيل الجنة والنار[٣].

والمعنى أخبر المولى عز وجل أن فى السماء الرزق وكل شىء مقدر ومكتوب فى اللوح المحفوظ من رزق أيا كان الرزق، أعمار مال، طعام أو شراب ــ بما تحمله كلمة الرزق من معان، وكذا ما سيكون فى المستقبل سواء أكان فى الدنيا أو الآخرة.

وكل ذلك بيده وعلمه وأمره جل وعلا، وأكد ذلك بالقسم بنفسه، ثم أكد قوله بما يقرب من أذهان الناس ويرونه حقيقة واقعة ألا وهى النطق .

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه :

---

(١) انظر : تفسير البيضاوى ٦٦٤، وتفسير الجلالين مذيل بكتاب لباب العقول فى أسباب النزول للسيوطى ٦٩١

(٢) انظر : تفسير القرطبى ٢٨/١٧ .

(٣) تفسير القرطبى ٢٢٦/٢٦ .

أقسم الله بنفسه على أنه مالك لأمر الإنسان كله ومكفل وموكل بكل شيء يخصه من مطعم ومشرب أو ما يخصه من رزق أيا كان، فكان القسم به جل وعلا حيث قال : فورب السماء والأرض، فقد جمع بين السماء والأرض لأنه يملك أسباب الحياة، والاستمرار للسماء والأرض، ولأن الإنسان يحيى على الأرض ورزقه مكتوب ومسجل أيضا في السماء، فالعلاقة واضحة، الرزق في السماء مسجل ومكتوب منذ بدء الخليقة، وينزل بقدر معلوم من عند رب العالمين من السماء إلى أهل الأرض جميعا كل مخلوق يأتيه رزقه، كما أن كل إنسان ينطق، ويعبر عن حاجته وما يريده ٠أو أن الانسان عامة متصف بأنه المخلوق الناطق٠

* (فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لاَ يَسْجُدُونَ) [الأنشقاق : الآيات ١٦ ــ ٢١]٠

اللغة :

الشفق : الحمرة عند غروب الشمس إلى صلاة العشاء الآخرة وقيل : الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب العتمة(١)٠

الوسق : ما دخل فيه الليل وما ضم، وكل ما انضم فقد اتسق، واتساق القمر : امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاثة عشرة وأربع عشرة، والاتساق الانتظام(٢)٠

الطبق : غطاء كل شيء، وطبق كل شيء ما سواه، وقيل : كل ما الصق به شيء فهو طبق(٣)٠

---

(١) تفسير القرطبي ٢٧٤/١٩ ٠

(٢) لسان العرب، "وسق"٠

(٣) لسان العرب "طبق" ٠

المعنى :

أقسم الله ببعض آياته العظمى حيث الشفق يتضمن إدبار النهار وهو آية وإقبال الليل وهو آية أخرى فهما يتعاقبان لمصالح الخلق والليل آية وما حواه آية أخرى والهلال وتزايده كل ليلة آيات، واتساق القمر وهو امتلاؤه نوراً[1] وانتظامه واستواؤه ثم تناقصه آيات باهرات دالة على قدرته جل وعلا .

وقد وجهت الآيات نظر الإنسان إلى الشفق وهو ما فى نهاية الأفق والنجوم والكواكب وهى ما توجد كثيرة وعديدة ليلا . والقمر إذا ما وضحت حقائقه من أبعاد وأقطار وجاذبية ومدار، فإن الإنسان لا بد أن ينتقل فى غزو الفضاء من جهاز إلى آخر ومن طبقة إلى أخرى، فإذا تم ذلك فإنهم سيرون آيات الله ووحدانيته، فكيف لا يؤمنون به بعدما يعاينون، وإذا استمعوا للقرآن يقص عليهم ما حدث وما يحدث، فكيف لا يسجدون لله كما سجد السحرة لما رأوا من المعجزات شكرا لله[2].

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه :

إذا كان الطبق غطاء كل شىء أو كل غطاء لازم على الشىء فالشفق يكون غطاء لازم فوق الظلمة التى أقبل بها الليل فى أوله ثم يأتى الليل فيطبق ويضم ويجمع فيه طبقات الجو والكواكب والنجوم التى تظهر ليلا ثم القمر الذى ينير الكون بعد استدارته واستوائه فى أنتظام بديع.

ونرى التناسب أيضا فى صعود العلماء إلى القمر والكواكب الأخرى فى أنهم يركبون سفينة من سفينة أخرى وكذا تنقلهم من طبقة جوية إلى أخرى إلى أن يصلوا إلى بغيتهم.

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن ٢١٧/١ .

(٢) الإعجاز العددى للقرآن الكريم د/ عبد الرازق نوفل ، أخبار اليوم قطاع الثقافة ص ٥٢

يتناسب ذلك مع الشفق الذى هو شق رقيق من بقايا ضوء الشمس يغطى ظلمة الليل فهو طبقة فوق طبقة ثم القمر فى اختلاف نوره وظهوره ووقته باختلاف أماكنه، ومن بعده وقربه من الطبقات القريبة للأرض ٠

فالطبقية جامع مشترك بين ما أقسم الله به وما أقسم عليه ٠

- (وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) [الفجر : ١ ــ ٥]٠

اللغة :

الفجر : ضوء الصباح وهو حمرة الشمس فى سواد الليل،٠

قيل : الفجر فى آخر الليل كالشفق فى أوله(١)٠

وهو انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم(٢)٠

وقيل : الفجر : ضوء النهار إذا انشق عنه الليل وهو مأخوذ من الانفجار، يقال : انفجر النهر انفجارا إذا انشق فيه موضع لخروج الماء ومن هذا سمى الفاجر فاجرا لأنه خرج من طاعة الله(٣)٠

الليل : عقيب النهار، ومبدوء من غروب الشمس، والليل ظلام والنهار ضياء وليال جمع مفرده ليلة(٤)٠

الشفع : خلاف الوتر، وهو الزوج، يقال : كان وترا فشفعته، وشفع الوتر من العدد شفعا، صيره زوجا ٠

وقيل : إن الاعداد كلها شفع ووتر(٥)٠

الوتر : بكسر الواء وفتحها : الفرد أو ما لم يتشفع من العدد(٦)٠

---

(١) اللسان "فجر"

(٢) القرطبى ٣٨/٢٠ ٠

(٣) تفسير زاد المسير ٢٥٤/٨ ٠

(٤) اللسان "شفق" ٠

(٥) اللسان "شفع" ٠

(٦) اللسان "وتر" ٠

يسر : السرى : السير فى الليل؛ يسرى يمضى[١] وسار القوم يسيرون سيراً إذا امتد بهم السير فى جهة توجهوا لها، والسير عندهم بالنهار والليل، أما السرى فلا يكون إلا ليلا[٢].

وقيل : يسرى إذا سرى[٣].

والمعنى من خلال كتب التفسير.

هذه أقسام خمسة وقد اختلف فى الفجر فقيل : هو انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم، وقيل إنه النهار كله وعبر عنه بالفجر لأنه أوله. وقيل : فجر يوم المحرم منه تنفجر السنة، وقيل : المراد بالفجر: جنس الفجر لا فجر يوم مخصوص[٤].

وقيل : الليالى العشر من أيام ذى الحجة، وهى العشر التى ذكرها الله من قصة موسى عليه السلام، (وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ)[الاعراف:١٤٢].

وهى أفضل أيام السنة[٥].وقيل: إنهم العشر الأواخر من رمضان[٦]وقيل العشر الأول من المحرم وفيها عاشوراء[١].

---

(١) اللسان "سرت"

(٢) اللسان "سار" .

(٣) الطبرى ١٦٩/٣٠ .

(٤) تفسير القرطبى ٣٨/٢٠، تفسير الألوسى ٢١٥/٢٩، وقيل غير ذلك ، انظر : تفسير زاد المسير ٢٥٤/٨ .

(٥) لما روى عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مرفوعا عن ابن عباس ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله عز وجل وأفضل من أيام العشر، قيل : يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال : ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشىء.

انظر : سنن أبى داود الجزء الثانى رقم الحديث ٢٤٣٨٠٠

(٦) لما روى عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا دخل العشر تعنى العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر، صحيح مسلم بشرح النووى ١٠٠/٨ .

وقيل : العشر الأول من رمضان[٢].

وإنما نكرت (وليال عشر) ولم تعرف لفضيلتها على غيرها ولو عرفت لم تستقبل بمعنى الفضيلة التى فى التنكير، فنكرت من بين ما أقسم الله به للفضيلة التى ليست لغيرها[٣].

الشفع والوتر : الشفع الاثنان والوتر : الفرد[٤]أقسم الله جل وعلا بالعدد كله منه الشفع ومنه الوتر، وقيل : أقسم الله بالخلق كله شفع ووتر، وقيل : الله تعالى وتر، وخلق الشفع (الذكر والأنثى)، وقيل : المراد بالشفع آدم وحواء، والوتر : هو الله وقيل المراد بها: الصلاة؛ منها الشفع، ومنها الوتر، وقيل : الشفع هم الخلق لما فى قوله تعالى: (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ)[الذاريات:٤٩] الكفر والايمان، الشقاوة والسعادة، الهدى والضلال، النور والظلمة، الليل والنهار، الحر والبرد، الشمس والقمر، الصيف والشتاء، السماء والأرض،الجن والأنس، وقيل : الشفع : تضاد أوصاف المخلوقين العز والذل، القدرة والعجز، القوة والضعف، العلم والجهل، الحياة والموت، البصر والعمى، السمع والصم، الكلام والخرص، والوتر انفراد صفات الله عز وجل بلا ذل، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياة بلا موت وبصر بلا عمى، وما وازاها. وقيل : العدد كله؛ لأن العدد لا يخلو منهما وهو أقسام بالحساب[٥].

---

(١) انظر : القرطبى ٣٨/٢٠، والألوسى ١٥/٢٩ .

(٢) انظر : تفسير زاد المسير ٢٥٥/٨ .

(٣) القرطبى ٣٨/٢٠ .

(٤) انظر : القرطبى ٣٩/٢٠ .

(٥) انظر : القرطبى ٣٩/٢٠ .

والليل إذا يسر : أى إذا يمضى، وقيل : إذا أقبل وأدبر، وأراد كل ليلة، وقيل : ليلة المزدلفة[١].

وقيل : ليلة القدر، والظاهر أنه عام فى كل ليلة[٢].

وقيل : المقسم عليه محذوف، وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ... فصب عليهم ربك صوت عذاب) ، وقيل : الجواب قوله تعالى : (إن ربك لبالمرصاد)[٣].

والمرصد : الطريق وقيل : مرجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه مصيرهم، وقيل : يرصد أعمال بنى آدم لأنه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوته من هو بالمرصاد[٤].

وقيل : الجواب محذوف يدل عليه ما قبله فى آخر سورة الغاشية وهو قوله تعالى : (إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم) وتقديره لأيابهم علينا وحسابهم علينا[٥].

وأقول : أقسم الله عز وجل بالفجر ولم يعين أى فجر من الأيام لما فيه ولما يحمل من الديمومة والاستمرار وكذلك ذكر الليالى العشر هل هى عشر ذى الحجة أو رمضان أوله أو آخره، أو عشر موسى عليه السلام المهم أنها عشرة مباركة فيها من العمل الصالح ما فيها وهى مكررة فى كل عام، وهى مستمرة كما كل يوم فجر يطلع فيه من الخير والبركة لعباده الصالحين ما فيه وما يسجل من السيئات على العاصين .

---

(١) انظر القرطبى ٣٩/٢٠، والجلالين ٧٩٧، والألوسى ٢١٨/٢٩ .

(٢) تفسير زاد المسير ٢٥٥/٨ .

(٣) انظر : البيضاوى ٧٤٠،الجلالين ٧٩٧، القرطبى ٣٩/٢٠، الألوسى ٢٠/٢٩ .

(٤) تفسير البغوى، معالم التنزيل فى التفسير والتأويل لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى دار الفكر ١٤١٢هـ، ١٩٩٢ .

(٥) الألوسى ٢٢٠/٢٩ .

ثم أقسم بالعدد زوجه وفرده، الحساب كله لما يقتضى محاسبة العباد على كل صغيرة وكبيرة سواء أكانت خيرا أم شراً.

ثم جاء الليل عامة عندما يسرى متعقبا النهار والعكس فهو فى ديمومة واستمرار كما قال تعالى : (لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [يس :٤٠].

وكما قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً)[الفرقان :٦٢].

وكما قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار"[1] فالمعاقبة والديمومة والاستمرار وسير الليل إذ يمضى ويأتى بعد ذلك النهار وبعده الليل فهو فى سير دائم وسرى لا انقطاع ابداً وفى فلك دائم يسبح إلى إن يشاء الله عز وجل.

وكان جواب القسم إن ربك لبالمرصاد يرصد أعمال العباد والخلق جميعا فى كل الأوقات والأزمنة ليحاسبهم عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

وبهذا الجواب يشمل أعمال العباد جميعهم الطائعين والعاصين ليتناسب مع ما أقسم الله به

فالتناسب بين ما أقسم الله به وعليه .

يتضح مما سبق فيما يلى :

١ – الديمومة والاستمرارية للفجر، والليالى العشر وسرى الليل وذهابه مع التسجيل لكل شيء.وعد أعمال وأفعال العباد عليهم ومحاسبتهم.

٢ – قدره الله الباهرة فى الكون، محو ظلمة الليل وانفجارها لخروج الضوء والنهار فى كل يوم دون تأخير مع المقابلة بين الليل والنهار والضوء والظلمة وأعمال العباد أيضا من خير وشر ورصد كل ذلك ومعاقبة المسيىء

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووى ١٨٦/٥ رقم الحديث ٦٣٢ .

ومجازاة المحسن المطيع لله ورسلة للمحاسبة فى الوقت الذى يريده المولى عز وجل .

* قال تعالى : (كَلاَّ وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ) [المدثر :٣٢ ــ ٣٥] .

اللغة :

القمر : القاف والميم والراء أصل صحيح يدل على بياض فى شىء وسمى قمر السماء قمراً لبياضه[١].

الدبر : والدبر الظهر، وهو خلاف القبل، ودبر الأمر: آخره، ودبر بالشيء : ذهب به، ودبر النهار وأدبر: بمعنى ، وفى قوله تعالى : (والليل إذا أدبر) قرئت إذا دبر أى تبع النهار قبله[٢].

سفر : السفر بياض النهار، وأسفرت : أصبحت، وسفرت الشىء عن الشىء أى كشفته فانسفر، وتقول : راح بنا إلى المنزل بسفر أى قبل الليل، وسفرت البيت، بالمسفرة أى كنسته بالمكنسة، والسفور : سفر المرأة نقابها عن وجهها فهى سافر وهن سوافر . واسفر الصبح أضاء قبل الطلوع[٣].

الكبر : جمع مفرده كبرى .

المعنى :

كلا : ردع وزجر عن قول أبى جهل وأصحابه أنهم يقدرون على مقاومة خزنة جهنم، وقيل ردع عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة، وقيل هى صلة للقسم، وقدرها بعضهم هى إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن يكون لهم ذكرى[٤].

فقد أقسم الله تعالى بالقمر وما بعده ، الليل إذا ذهب وولى وجاء بعده النهار، بطرح الظلمة عن وجهه، مع التنبيه إلى النظر فى ذلك والتفكر المؤدى

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس "قمر"

(٢) الصحاح "دبر"

(٣) اللسان "مسفر"

(٤) تفسير الألوسى ٢٢٣/٢٨ .

إلى تعظيمه تعالى، وتحصيل معرفته مالك الكل وقوام الوجود، ونور السموات والأرض[1].

وكان جواب القسم قوله تعالى : انها لاحدى الكبر والمراد بها جهنم أى هى إحدى الدواهى الكبيرة وفيه دليل على أن هناك دواهى وبلايا كبيرة أيضا تنتظرهم وجهنم كبيرة منها[2].

التناسب بين ما أقسم به وما أقسم عليه :

فعلاقة الليل بالقمر فى الظهور والإبانة ليلا، وكذا دوران الليل والنهار وتعاقبهما وتعاقب القمر كذلك فى منازله الثمانية والعشرين، والسفور والوضوح التام لهذه الآيات الكبيرة العظيمة الدالة على عظمة الله تعالى فى خلقه وكم من الآيات الواضحة عيانا للبشر وهم عنها معرضون ساهون غافلون .

ثانيا : التطابق الواضح بين المقسم به والمقسم عليه فى جلاء وظهور الآيات العظيمة القمر ، الليل، النهار، سفر فهى إحدى الدلائل العظيمة التى هى نذير للبشر فى نهاية هذه الحياة

فقد أقسم الله بهذه الأشياء الثلاثة وهى القمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر على المعاد لما فى القسم من الدلالة على ثبوت المقسم عليه، فإنه يتضمن كمال قدرته وعظيم حكمته وعنايته بخلقه وابداء النهار والليل وإعادتهما فى ابداء النور، وإعادته المتمثل فى القمر، وفى ابداء الزمان وإعادته فكل ذلك دليل على المبدأ والمعاد الذى أخبرت به الرسل جميعا[3].

ثالثا : أن النهار حق وحقيقة مثل ما يرونه عيانا من آيات الله الكبرى ، قمر، ليل ، نهار، شمس ، سقر، استمرارية، الحياة.

---

(١) تفسير الثعالبى ٣٦٢/٤ .

(٢) تفسير الألوسى ٢٢٤/٢٨ .

(٣) التبيان فى أقسام القرآن ٣١٥/١ ــ ٣١٦ .

وإذا كان القمر للحساب والزمان وكذا الليل والنهار فإن النار قد خلقها الله لعقاب العصاة الكفرة الجبابرة تذكرة لهم كى يتعظوا ويعتبروا ، بل إنها حقيقة واقعة سترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين، يوم القيامة ، يوم الحساب كما ترون هذه الآيات الكبرى، فإن النار آية من آيات الله العظمى وداهية من الدواهى التى تنتظر العصاة والمذنبين ٠

كما ترى أن هذه الآيات تتحدث عن يوم القيامة يوم الحساب الموعد المضروب الذى لا يعلمه إلا الله عز وجل فجاءت الآيات الدالة على الحساب وأنه يوم مضروب محدد عنده جل وعلا فذكر القمر والليل والنهار فهما آيات الحساب أيضا كما قال تعالى(فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)[الأنعام : ٩٦)٠

وقال تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً)[الإسراء :١٢]٠

وقال تعالى : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ)[البروج :١ :٤]٠

اللغة :

البروج : تباعد ما بين الحاجبين، وكل ظاهر مرتفع فقد برج إنما قيل للبروج بروج لظهورها وبيانها وارتفاعها ، والبرج نجل العين وهو سعتها ٠ وقيل البرج : سعة العين مع شدة بياض صاحبها[١]٠

الشاهد :

العالم الذى يبين ما علمه ، والشاهد والشهيد : الحاضر٠ وقيل المراد بالشاهد والمشهود فى الآيات : الشاهد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمشهود يوم القيامة، وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة[٢]٠

---

(١) اللسان "برج "

(٢) اللسان "شهد" ٠

الاخدود : شق فى الأرض مستطيل، وقيل شقان فى الأرض غامضان مستطيلان[١].

فى التفسير :

قيل المراد بالبروج : البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت، وقيل : منازل القمر أو عظام الكواكب، وقيل أبواب السماء[٢].

والشاهد والمشهود : قيل من يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق أى يوم القيامة وما فيه من العجائب وتنكيرها للمبالغة فى الكثرة، وقيل المراد بها : النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأمته، أو أمته وسائر الامم، أو كل نبى وأمته أو الخالق والخلق أو عكسه، أو الملك الحفيظ، والمكلف، أو يوم النحر، أو عرفة والحجيج، أو يوم الجمعة والجمع، أو كل يوم وأهله. وجواب القسم قتل أصحاب الاخدود، وقيل هو دليل على جواب القسم المحذوف كأنه قيل : إنهم ملعونون يعنى كفار مكة كما لعن الله أصحاب الاخدود لتثبيت المؤمنين وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم[٣] .

فقد أقسم الله بالبروج مع السماء، ثم أقسم باليوم الموعود وهو يوم القيامة وهو المقسم به، وعليه كما أن القرآن يقسم به وعليه، فالأقسام به ــ عند من آمن بالله ــ كالأقسام بالسماء وغيرها من الموجودات المشاهدة بالعيان .

ثم أقسم، بالشاهد والمشهود مطلقين غير معينين وأعم المعانى فيه أنه المدرك والمدرك، والعالم والمعلوم، والرائى والمرئى[٤].

---

(١) اللسان "خدد" .

(٢) تفسير البيضاوى ٧٣٦ .

(٣) تفسير البيضاوى ٧٣٦ .

(٤) التبيان فى أقسام القرآن ١٨٣/١، ١٨٤ .

التفسير الحديث للبروج :

إن الأرض والقمر، والكواكب السيارة الأخرى، والشمس، تقع كلها، ومداراتها على مستوى واحد تقريبا، وبشكل قرص عظيم. وإن امتدادات هذا المستوى العظيم الذى يضم المجموعة الشمسية تلاقى فى الفضاء المحيط بالمنظومة الشمسية، مجاميع من النجوم يبلغ عددها ١٢ مجموعة، وتسمى مجاميع النجوم هذه بالزودباك وتعنى باليونانية (حديقة الحيوانات).

كما أن امتدادات ، أو مساقط، القرص الضام للمنظومة الشمسية فى الفضاء ترسم لنا دائرة عظيمة تسمى بدائرة البروج.

إن النجوم وكما تراها فى الفضاء، متناثرة حولنا، فى كل اتجاه وأما البروج المقصودة فهى مجاميع للنجوم التى تقع على دائرة البروج التى وصفناها، وحسب ، أوحولها عن قريب ولكن قوله تعالى : (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ)[الحجر:١٦].

وقوله تعالى : (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) يتضح لنا أن المراد بالبروج فى كتاب الله تعالى، هو أوسع من الاصطلاح الحديث لها[١].

وبالنسبة لجواب القسم : قيل ان الجواب قوله تعالى : (إن بطش ربك لشديد) وقيل جواب القسم محذوف أى والسماء ذات البروج لتبعثن[٢].

وقيل : الأحسن أن يكون هذا القسم مستغنيا عن الجواب، لأن القصة للتنبيه على المقسم به، وأنه من آيات الرب العظيمة، ويبتعد أن يكون الجواب، قتل أصحاب الاخدود، الذين فتنوا أولياءه وعذبوهم بالنار ذات الوقود[٣].

---

(١) أسرار الكون فى القرآن وداود سلمان السعدى ج ١٠٤ ــ ١٠٥ .

(٢) القرطبى ٢٨٦/١٩ .

(٣) التبيان فى أقسام القرآن ١٨٦/١ .

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه :

فقد أقسم بالعالم العلوى وهى السماء وما فيها من بـروج وهـى أعظـم الأمكنة وأوسعها، ثم أقسم بأعظم الآيات وأجلها قدراً، والذى هو مظهر ملكـه، وأمره ونهيه وثوابه وعقابه، ومجمع أوليائه وأعدائه والحكم بينهم بعلمه وعدله، ثم أقسم بما هو أعم من ذلك كله وهو الشاهد والمشهود، وناسب هذا القسم ذكر أصحاب الاخدود الذين عذبوا أولياءه، وهم شهود على ما يفعلـون، والملائكـة شهود بذلك. والأنبياء، كما أن جوارحهم تشهد به عليهم، وأيضا الشاهد هـو : المطلع والرقيب والمخبر. والمشهود : هو المطلع عليه، والمخبر به الشاهد[1].

فقد ربط ابن القيم بين المقسم به وبين قوله تعـالى : (قتـل أصـحاب الأخدود)، رغم أنه ليس مما أقسم الله به، وهو يفضل أن لا يكون قوله تعالى : (قتل أصحاب الأخدود) جواب القسم.

وأيضا : إذا فسر البروج بالمنازل التى يعرف بها الحسـاب أو النجـوم التى تسير فى إحكام بديع ، فإن اليوم الموعود واقع وحاصل وله وقـت معـين معلوم يعلمه المولى عز وجل، وشاهد ومشهود لما يحصل فى الدنيا والآخـرة، فإذا اعتبرنا جواب القسم : قتل أصحاب الاخدود فإنه يتناسب مع المقسم به فـى أن أصحاب الأخدود شهود على ما يحصل للناس، وهم كذلك على مرأى ومسمع ومشهد من الملائكة.

ومما يكون رابطا أيضا بين المقسم به والمقسم عليه :

حال السماء وبروجها يوم القيامة . (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَـيِّ السِّـجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) [الأنبياء:١٠٤].

وكذلك النجوم والكواكب قال تعالى : (فإذا النجوم انكدرت) وقوله تعالى : (إذا الكواكب انتشرت) فانظر إلى حال السماء ونجومها وكواكبها فـى الـدنيا

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن ١/١٨٥ .

وكذلك فى الآخرة، وكذلك أحوال البشر فى الدنيا وأحوالهم فى الآخرة (أن بطش ربك لشديد) [البروج ١٣] فى الدنيا والآخرة فانظر إلى ما يحدث للأقوام الذين كذبوا رسله وحاربوهم وما يكون لهم من أليم العذاب وما ينتظرهم من شديد العقاب فى الآخرة وهو معلوم كذلك بما أخبرنا به جل وعلا ٠

وهكذا تضمن هذا المبحث من الآيات الكونيه العظيمة مما يجعل الانسان يسجد لعظمته وقدرته واحاطتة بكل دقائق الأمور وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون كما تضمن أيضا القسم الذى ليس بعده قسم، فهل فى ذلك قسم لذى حجر، كما تضمن أيضا من آياتها العظيمة الكبرى "أنها لأحدى الكبر"٠

المبحث الثانى

القسم والقرآن الكريم

جاء فى هذا المبحث ما تعلق بالقرآن الكريم من أقسام سواء فى الأقسام به والأقسام عليه وإن تضمنت الأقسام أشياء أخرى غير القرآن. وقد جاء المقسم به فى أربعة مواضع بما خلق الله فى الكون ــ بالنجوم ومواقعها والسماء ــ مما اتصفت به من رجع وما هى عليه من صفة الاحكام والنسج والتكسر لتناسب القرآن العظيم فى علوه ومكانته التى لا تدانيها مكانه كما فيه من تجدد وتوسع مع مر الزمان والعصور.

وقد جاء أيضا قسمان بالقرآن الكريم يدل أحدهما على علو مكانته وشرفه "ص والقرآن، ذى كر" والآخر وإن كان الجواب فيه يعود على الرسول وتعجب الكفار من نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم إلا إنى وضعته فى هذا المبحث لذكر الله للقرآن مقسما به. ثم جاء القسم الجامع بما نبصر وما لا نبصر من خلق الله وملكه على القرآن الكريم بأنه من قول رسول كريم ومن جاء به وبما فيه إنما هو رسول من عند الله، ثم جاء القسم بالقرآن الكريم المبين فى تشريفه للعربية وأهلها فى جعل القرآن الكريم الواضح المبين عربيا بلغة العرب حتى يتفهموه ويعملوا فيه العقل والفكر لفهمه والعمل به.

الآيات

* قال تعالى : (فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)[الواقعة :٧٥ــ٨٠].

فى التفسير :

فى قوله تعالى : "لا أقسم " قولا .

أحدهما : أن لا هنا توكيد والمعنى أقسم . ومثله قوله تعالى : "لئلا يعلم أهل الكتاب" الحشر ٢٩ أى ليعلم.

والثانى : أن لا على أصلها وفى معناها قولان ٠

أولهما : أنها ترجع إلى ما تقدم، ومعناه : النهى وتقدير الكلام فلا تكذبوا وتجحدوا ما ذكرته من النعم ٠

وثانيها : إنها رد لما يقوله الكفار فى القرآن إنه سحر وشعر وكهانة[١]٠

وقد اختلف فى النجوم التى أقسم الله بمواقعها :

قيل : هى آيات القرآن ومواقع نزولها شيئا بعد شىء٠

قيل : النجوم : هى الكواكب ومواقعها ومساقطها عند العرب وقيل مواقعها : انتشارها وانكدارها يوم القيامة[٢]٠

وقد ذكر ابن القيم، أن الله أقسم بمواقع النجوم على ثبوت القرآن الكريم وأنه تنزيله ٠

والمناسبة بن المقسم به والمقسم عليه : من وجوه

أولها : أن النجوم جعلها الله يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر وآيات القرآن يهتدى بها فى ظلمات الجهل والغى ٠

فتلك هداية من الظلمات الحسية وآيات القرآن من الظلمات المعنوية٠

والثانى : أن النجوم رجوم للشياطين ، وآيات القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن ٠

والثالث : النجوم آياته المشهودة المعاينة والقرآن آياته متلوة سمعية مع ما فى مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند نزولها[٣]٠

---

(١) تفسير زاد المسير لعبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى الطبعة الأولى سنه ٤١٤ هـ المكتبة الإسلامية بيروت ج ٣٣٦/٧، ٣٣٧ ٠

(٢) تفسير ابن كثير ٢٩٩/٤، تفسير زاد المسير ١٥١/٨، والتبيان فى أقسام القرآن لابن القيم ٣٩٢/١ ٠

(٣) التبيان فى أقسام القرآن ٣٩٣/١، ٣٩٤ ٠

وللعلم الحديث بالنجوم شأن آخر بالإضافة إلى ما سبق.

وفيه ما يدل على أن القرآن كائن لكل زمان ومكان، وأنه معجز لما أخبر به وأقسم، وأنه لحق فى هذا القسم أن يكون قسما عظيما يتناسب مع المقسم به والمقسم عليه .

يذكر علماء الفلك أنه يوجد من النجوم ما يصل عددها إلى ٤٠٠ مليار فى مجرتنا وهى لا نرى منها بأعيننا المجردة إلا آلاف قليلة، وكذا فى المجرات الأخرى التى لا نرى نجومها بأعيننا المجردة أبدا وهى مع ذلك زينة للأرض ومع ذلك أيضا ؛ فهى رجوم للشياطين، وكذا يهتدى بها السارى ، وهى أكثر من ذلك بكثير(١).

فما الحكمة من ذكر مواقع النجوم لا النجوم ذاتها؟

الحكمة عظيمة لأن النجوم لا يمكن للإنسان أن يراها لسرعتها الفائقة فى دورانها وكذا بعد المسافة بينا وبينها وإنما الذى نراه هو موقع مر به النجم، فالموقع تشير إلى المكان والزمان وإلى قدم العمر للنجم؛ والمكان والزمان سنة من سنن الله تعالى فى الكون(٢).

ومما يدل على العلاقة والوثيقة بين المقسم به والمقسم عليه أن مواقع النجوم، وما تعنيه من دقة مدارتها، وحركتها المرسومة لها من الحكمة بحيث يؤدى كل نجم منها مهمته الموكلة إليه فى الكون، ولو أن نجما خرج عن مداره،

---

(١) أسرار الكون فى القرآن د/داود سليمان السعدى . دار الحرف العربى للطباعة والنشر بيروت ط ثانية ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م ص ١٠٦ .

وانظر : ص ١٩١ ، ١٩٧ من نفس المصدر للمزيد .

(٢) الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم د/زكريا هميمى ط أولى سنه ٢٠٠٢ هـ عربية للطباعة النشر مكتبة مدبولى ص ٦٦، وللمزيد والمعرفة انظر ما قبل هذه الصفحات، من المصدر السابق زاته .

أو عن قانونه المرسوم له لحدثت كارثة كونية لا يعلم حدودها إلا الله سبحانه وتعالى ٠

أما المقسم عليه فهو القرآن الكريم وما يحويه من حروف وكلمات وجمل وآيات وسور ومن هنا يتضح لنا مسألة الترتيب وحكمة وضع كل عنصر من عناصر القسم والمقسم عليه فى مكانه وأى حرف أو كلمة أو جملة أو آية من القرآن الكريم وهى الرابط الذى يربط القسم بالمقسم عليه، وأنه بمقدار ما نعلم من عظمة القرآن الكريم فى الربط بين المقسم به والمقسم عليه٠ فالكون بنجومه وكواكبة وما فيها من حكمة الترتيب والتدبر والقرآن بأحرفه وكلماته وجمله وآياته وسوره[1]٠

وأرى أيضا بالاضافة إلى ما سبق فى الربط بين المقسم به والمقسم عليه موقعية النجم فى المكانة العالية وموقعية القرآن الكريم فى اللوح المحفوظ وإذا كان المقسم به [أثر النجوم] وهو مكان مرورها فإن القرآن الكريم له من الأثر ما له عندما يلامس القلوب٠

فبعد النجوم وسرعتها وعظمتها تتناسب مع علو وعظمة ومكانة القرآن الكريم بما فيه من الآيات الباهرات لذا كان المقسم به عظيما كما وصفه المولى عز وجل ٠

فالنجوم لا يعلم عددها وتأثيرها فى الكون وسرعتها الفائقة إلا الله عز وجل فهو قسم عظيم والقرآن لا يمسه إلا المطهرون المقربون فواضح ذلك فى علو المكانة والمنزلة التى يحويها القرآن الكريم وما عليه النجوم وأماكنها وما يكتشف عنها للبشر وما فيها من فائدة قريبة لما فى القرآن الكريم من منافع ثابتة ومتجددة٠

---

(١) شواهد الاعجاز فى البناء القرآنى أ٠د عاطف قاسم أمين المليجى جـ أولى سنه ١٤٢٢ هـ ج ١٥، ١٦ ٠

* قال تعالى : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ)[الذاريات الآية ٧، ٨].

اللغة:

أصل الحبك فى اللغة : الشدة، وقيل إجادة النسج والحبك: تكسر كل شيء، والشعر المتكسر من الجعودة. والماء الساكن، والرمل إذا هبت عليها الريح فيتجعدان ويصيران طرائق .

والحبك : الخلق الحسن ــ والطرائق الحسنة ــ والمحكم الخلق والمحبوك من حبكت الثوب إذا أحكمت نسجه(١).

والمعنى : أقسم الله عز وجل بالسماء التى توصف بأنها محكمة الخلق، شديدة القوة، ذات الطرائق، مثل طرائق الماء والرمل إذا ضربته الريح ظهرت فيه تموجات وتعاريج كذلك سقف السماء ولكننا لا نرى شيئا لبعدها عنا، ولكن نرى حبك الشعر وتجعده وعدم استقامته أحيانا .

وجواب القسم : إنكم لفى قول مختلف" وهى من أقوالهم فى القرآن أو فى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو خرص كله .

فإنهم لما كذبوا بالحق اختلفت مذاهبهم، وآراؤهم وطرائقهم وأقوالهم، فإن الحق شيء واحد، وطريق مستقيم(٢).

وفى العلم الحديث :

توصل بعض العلماء إلى أن الكون فى توسع دائم فهو يشبه سطح البالون ، مطاطى ينتفخ باستمرار والمجرات على سطحه كأنها نقاط تتباعد عن بعضها البعض(١).

---

(١) اللسان"حبك" والطبرى ١١٧/٢٦، والقرطبى ٣١/١٧، ٣٢ والتبيان فى أقسام القرآن ٧٧/٢، ٧٨ .

(٢) التبيان فى أقسام القرآن ٨٠/٢ .

ولا يكون هذا التباعد إلا إذا وجدت التموجات التى تعمل على الاسترخاء والتمدد وهذا تحقيق لقوله تعالى : (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) [الذاريات ٤٧].

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه :

لعل النكتة فى ذلك القسم تشبيه أقوالهم فى اختلافها وتنافى أغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف هيآتها[٢].

والطرائق هذه هى التموجات والتعرجات التى تتصف بها السماء دون أن نراها لبعدها عنا غير أننا نراها مستوية مستقيمة، ليس بها تموجات أو تعرجات، فهى كالآراء المختلفة المتباينة التى ليست على نهج واحد أو نسق واحد .

فقد يرى المكذبون أن قولهم صدق وحق وفى غاية الاستقامة هذا ما يرونه كما يرون السماء لكن الحقيقة أن أقوالهم متباينة ومتناقضة وبعيدة عن الحقيقة كبعد السماء فى عدم رؤيتنا تموجاتها وتعرجاتها، وما فيها من تعرج فكلامهم متناقض بعيد عن الحقيقة.

* قال تعالى : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ)[الطارق : ١١ ــ ١٣].

اللغة :

سماء كل شيء أعلاه، وسقف كل بيت، ويقال لكل شيء ارتفع وعلا : قد سما يسمو ، وكل ما علاك وأظلك فهو سماء.

---

(١) أسرار الكون فى القرآن ١٤١ .

(٢) وقيل : أو الاشارة إلى أنها ليست مستوية جيدة، أو ليست قوية محكمة ، أو ليس فيها ما يزينها بل فيها ما يشينها من التناقض .

انظر : تفسير الألوسى ٨/٢٧ ، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للعلامة أبى الفضل محمود الألوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ تصحيح محمد حسين العرب بأشراف هيئة البحوث والدراسات فى دار الفكر سنه ١٤١٤، ١٩٩٤

وأصل السماء:سماوة فإذا ذكرت عنوا به السقف ومنه قوله تعالى : (السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ)[المزمل :١٨].

والسماء : السحاب ــ والسماء : المطر ــ وفى الحديث : صلى بنا إثر سماء من الليل أى إثر مطر، وسمى المطر سماء؛ لأنه ينزل من السماء[١].

الرجع : الراء والجيم والعين أصل كبير مطرد منقاس يدل على رد وتكرار تقول رجع يرجع رجوعا إذا عاد والرجع : الغيث، وهو المطر[٢].

صدع : أصل صحيح يدل على انفراج فى الشىء، يقال : صدعته فاتصدع، وتصدع، وصدعت الفلاة قطعتها . والصدع النبات؛ لأنه يصدع الأرض . ومن الباب : صدع بالحق إذا تكلم به جهاراً، قال سبحانه لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)[الحجر : ٩٤] ويقال تصدع القوم إذا تفرقوا .

والسماء ذات الرجع، أى ذات المطر ، ترجع كل سنة بمطر بعد مطر قيل الرجع : نبات الربيع وقيل ذات النفع، وقد سمى المطر أيضا أوباً كما يسمى رجعا .

وقيل الشمس والقمر والنجوم يرجعن فى السماء تطلع من ناحية وتغيب فى أخرى. وقيل ذات الملائكة ؛ لرجوعهم إليها بأعمال العباد .

وهذا قسم والأرض ذات الصدع قسم آخر . أى تتصدع عن النبات والشجر والثمار والأنهار نظيره(ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً)[عبس:٢٦] والصدع بمعنى الشق، لأنه يصدع الأرض فتتصدع به، وكأنه قال والأرض ذات النبات؛ لأن النبات صادع للأرض. وقيل : ذات الطرق التى تصدعها المشاة، وقيل ذات الحرث، لأنه يصدعها. وقيل ذات الأموات : لا نصداعها عنهم للنشور.

---

(١) اللسان : "سما"

(٢) مقاييس اللغة : "رجع".

وجواب القسم " إنه لقول فصل" أى القرآن يفصل بين الحق والباطل وقد وصف الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ القرآن بقوله هو الفصل ليس بالهزل ٠ وقيل المراد بالفصل ما تقدم من الوعيد فى هذه السورة من قوله تعالى: (انه على رجعه لقادر ٠ يوم تبلى السرائر" وما هو بالهزل ــ أى ليس القرآن بالباطل واللعب[1]٠

وفى كتب الإعجاز العلمى :

أولا : قال المفسرون : رجع السماء هو : المطر وهو صحيح، لأن من أعظم ما يعود إلينا من السماء هو المطر، الذى بدونه لا تستقيم الحياة على الأرض، ونحن نعلم اليوم أن كل ماء الأرض قد أخرج أصلا من داخلها على هيئة أبخرة تصاعدت من فوهات البراكين، وأن هذه الأبخرة تكثفت عند اصتدامها بالطبقات الدنيا من الغلاف الغازى المحيط بالأرض(نطاق المناخ) وعادت إلى الأرض مطراً وذلك لأن نطاق المناخ قد خصه الله تعالى يتناقص فى درجة الحرارة، مع الارتفاع حتى تصل إلى ناقص ٦٠م على ارتفاع حوالى ١٠ كم من سطح البحر فوق خط الاستواء مع تفاوت قليل من منطقة إلى أخرى ولولا ذلك ما عاد إلينا بخار الماء المتدفع من داخل الأرض أو المتبخر من سطحها أبدا ومع ذلك لم يقل المولى عز وجل: والسماء ذات المطر؟

لأن الله عز وجل قد جعل فى الغلاف الغازى المحيط بالأرض عدداً من نطق الحماية التى ترد إلى الأرض كل مفيد، وترد عنها كل ضار ومهلك من مختلف صور المادة والطاقة ٠

ومن أمثلة ذلك :

أ – النطاق الأسفل من نطق الغلاف الغازى للأرض (نطاق المناخ) والذى له من الصفات الكيميائية والفزيائية ما يجعله صالحا للحياة٠

---

(١) تفسير القرطبى ٢٠/١٠ ٠

فعلى سبيل المثال لا الحصر، يتبادل كل من الإنسان والحيوان مع النبات غازى الاكسجين وثانى اكسيد الكربون ، وكل منهم يطلق بخار الماء إلى الغلاف الغازى، ونتيجة للبخر من الأسطح المائية، ولتنفس وإفرازات كل من الأناسى والحيوانات، ونتح النبات يرتفع بخار الماء إلى أعلى نطاق المناخ حيث يتكثف فيعود مطرا أو بردا أو ثلجا ٠

ولنطاق التغيرات المناخية خاصة فى إجزائه السفلى من الكثافة ما يسمح له بترجيع الصوت، ومن الغريب أن اسم هذا النطاق باليونانية هو نطاق الرجع(Troposphere)٠

ب – السحب التى ترد إلينا أكثر من التسعين بالمائه من حرارة الشمس، التى تمتصها صخور الأرض وتعيد إشعاعها إلى الجو، بعد غياب الشمس، ولولا ذلك لتشتت تلك الحرارة إلى طبقات الجو العليا، وتجمدت الحياة على الأرض بالليل، وهذه صورة من صور الرجع الحرارى إلى الأرض، لم تكن معروفة من قبل٠

جـ – طبقة الأوزون (Theozonosphere) والتى تسمح بمرور ضوء الشمس الأبيض والموجات تحت الحمراء إلى الأرض، وترد عنا ما يصاحب ذلك الضوء من اشعاعات ضارة مثل الأشعة فوق البنفسجية (وهى أشعة مهلكة) فيما عدا جزءا يسيرا منها تحتاجه الحياة على الأرض ٠

د – الطبقة المتأينة من الغلاف الغازى للأرض (Thelonosphetle) وهى طبقة مشحونة بالكهرباء، ترد عن الأرض الجسيمات الكونية المتسارعة وترد إلى الأرض موجات الراديو الإذاعية والتلفازية وموجات الاتصال اللاسلكى وهى صور من الرجع٠ لم تكن معروفة للإنسان وقت تنزل القرآن الكريم ولا لقرون متطاولة من بعد ذلك ٠

وهذا النطاق المتأين يحوى أحزمة الاشعاع (Radiation Belts) وتمثل بزوجين من الأحزمة على كل جانب من جوانب الأرض يدفعان عن الأرض

الجزء الأكبر من ويلات الجسيمات الكونية المتسارعة، المنتشرة فى السماء الدنيا، والتى تصل إلى الأرض من الشمس ومن غيرها من النجوم ٠

هـ - النطاق الخارجى من الغلاف الغازى للأرض(The Exosphere) وهو كذلك يرد عن الأرض ويلات الجسيمات الكونية المتسارعة وتحترق فيه وفى الطبقات التى دونه أغلب الأجسام السماوية الصلبة (النيازك) والتى لا يبقى منها إلا الرماد أو بعض الجسيمات الصغيرة التى تصل إلى الأرض، فتكون مادة يتعرف بواسطتها الإنسان على تركيب الأجزاء البعيد من الكون ٠

ومن أجل ذلك وغيره مما لا يعرفه الانسان إلا منذ عشرات السنين أقسم المولى عز وجل وهو الغنى عن القسم بالسماء ذات الرجع، ولم يقصر ذلك على المطر فقط كما فهم الأقدمون لأنه تعالى "أعلم بخلقه من جميع خلقه وقد يرى القادمون بعدنا فى لفظة الرجع دلالات ومعانى أكثر مما نعرفه اليوم ٠ وهو خمس صور للرجع المفيد إلى الأرض، وخمس صور أخرى للرجع الضار عن الأرض[1]٠

وفى قوله تعالى :(وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ)[الطارق : ١٢]٠

قال القدماء هو تصدعها عن النبات ٠

فهناك ثلاثة آلاف من أنواع المعادن فى القشرة الأرضية، وهذه المعادن تتكون من مزيج لاثنين أو أكثر من اثنين وتسعين عنصرا توجد بصورة طبيعية فى قشرة الأرض، والتعدين هو ضرب من شق الأرض وصدعها، كما أنه أساس لقيام الصناعات والحضارات ٠

---

(١) انظر : المفهوم العلمى للجبال فى القرآن الكريم د/زغول النجار مكتبة الشروق الدولية ج ١٣ : ١٥ والاعجاز العلمى فى القرآن الكريم د/زكريا هميمى مكتبة مدبولى ج ١٨٩ : ١٩١ ٠

والينابيع التى تتفجر بالماء الموجود تحت سطح الأرض هى معنى آخر للصدع.

كما أن الأرض تتصدع يوم القيامة وتنشق عن الناس الذين يخرجون من قبورهم (يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) [ق : ٤٤].

كما أن الأنهار التى تجرى بالمياه على وجه الأرض هى صدوع وشقوق فيها(١).

قشرة الأرض تمتاز باحتوائها على عدد لا نهائى من الصدوع وهى عبارة عن كسور وتشققات تنزلق من خلالها الصخور التى تتألف منها قشرة الأرض، وقد قال بعض العلماء : إن المقصود بالصدع هى الصدع الممتدة بطول مقداره ٦٠,٠٠٠ كيلو متر والذى يشغل منتصفات المحيطات والبحار العميقة والمعروف علميا باسم (عرف أو حيد منتصف المحيطات) فهى المتنفس الطبيعى للضغوط بالغة الشدة بباطن الأرض وبدون ذلك تنفجر الأرض كقنبلة نووية. وعبر مستويات الصدوع تخرج المياه الجوفية إلى سطح الأرض، ويخرج البترول، والغاز الطبيعى، كما تخرج البراكين المصدر الرئيسى للمياه على قشرة الأرض وتتكون الهزات الزلزالية لتخفيف الضغوط عن باطن الأرض(٢).

وقد وجد العلماء فى أواسط البحار والمحيطات سلاسل جبلية عملاقة تفوق فى ارتفاعها أحيانا أعلى القمم فوق اليابس وقد اتضح أنها عبارة عن طفوح بركانية متراكمه عبر فترات زمنية طويلة ولا تزال تندفع عبر شبكة هائلة من الصدوع التى تمزق الغلاف الصخرى للأرض بعمق يتراوح بين ٦٥ كم، ١٥٠ كم وأنها تمتد لمئات الآلاف من الكيلومترات فى جميع الاتجاهات

---

(١) انظر أسرار الكون فى القرآن د/داود سليمان السعدى دار الحرف العربى ط ثانية ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م ج ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم د/زكريا هيممى ج ١٥٣ .

وكأنها صدع واحد لتحيط بالأرض إحاطة كاملة، وتمزق غلافها الصخرى إلى عدد من الألواح الأرضية المتباينة فى مساحتها وكتلتها وهى بمثابة صمام أمان الأرض(١).

أوجه التطابق بين المقسم به والمقسم عليه :

أ – التطابق بين ما أقسم الله به بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع فإذا فسر الرجع بالمطر فيكون الصدع ما أخرجه الله من النبات.

وكذا أيضا ما هو سبب فى وجود المطر وذلك من صدوع البراكين والزلازل الذى يكون بخار الماء الذى يتراكم على هيئة سحب ويكون المطر الذى ينزل لينفع الله به العباد عن طريق النبات وغيره .

والسماء ذات الرجع أى ترجع بأعمال العباد ومصائرهم بعد تسجيلها يتناسب مع شق الأرض واخراج الناس للحساب كما قال تعالى (يوم تشق الأرض عنهم سراعاً).

وإذا فسر الرجع بما هو فى الكتب العلمية من ترجيع للأشعة الضارة أو النافعة أو ما يعود على الإنسان من نفع وضر من اشعة الراديو وغير ذلك فيتناسب مع الخير الكامن فى الصدع ومتنفس الأرض وما تخرجه الأرض من معادن وكلها منافع للأنسان .

ب – التطابق بين المقسم به والمقسم عليه : هو الصدق والفصل والحق فيما أخبر به محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أن القرآن صدق وحق وليس بالهزل كما يرون ويشاهدون ويتلمسون ويرون رجع السماء وصدوع الأرض.

النفع العائد من رجع السماء وصدوع الأرض والقرآن للإنسان فاعتبر واستفد مما خلق الله لك وأوجد على البسيطة وفى باطنها وما فى القرآن الكريم من كنوز يرجع خيرها لك فى الدنيا والآخرة.

---

(١) المفهوم العلمى للجبال فى القرآن الكريم د/زغلول النجار ج ١٦ .

* قال تعالى : (فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الجَوَارِ الكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ)[التكوير : ١٥ ــ ٢٢].

اللغة :

خنس : الخنوس الانقباض والاختفاء، وخنس يخنس ويخنس: إذا انقبض وتأخر ومنه فى الحديث الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله خنس أى انقبض منه وتأخر .

وخنوس الفرس: هو الذى يعدل وهو مستقيم فى حضره ذات اليمين وذات الشمال .

والثلاث الخنس من ليالى الشهر قيل لها ذلك لأن القمر يخنس فيها أى يتأخر(١).

الجوار : الجارية الشمس، سميت بذلك لجريها من القطر إلى القطر ، والجارية : الريح، والجارية : السفينة ، والجوار الكنس: بعض النجوم والجارية : النعمة من عند الله على عباده(٢).

الكنس : كسح القمام عن وجه الأرض، والمكنسة : ما كنس بها(٣)

عسعس : الليل إذا أقبل بظلامه، وإذا أدبر، وقيل المعنى : يرجع إلى ابتداء الظلام فى أوله وإدباره فى آخره .

وعسس فلان الأمر : إذا لبسه وعماه وأصله من عسعسة الليل(٤).

تنفس الصبح : أى تبلج وامتد، حتى يصير نهارا أى : طلع، وقيل: إذا أضاء، وقيل : إذا انشق الفجر، وانفلق حتى يتبين(١).

---

(١) اللسان "خنس "

(٢) اللسان " جرى" .

(٣) اللسان "كنس" .

(٤) اللسان "عسس" .

المعنى :

أقسم الله عز وجل بالكواكب الرواجع ، (من خنس إذا تأخر) وهى سوى الشمس والقمر من الكواكب السيارة، وقد وصفت بالجوار الكنس التى تختفى تحت ضوء الشمس، وأقسم بالليل إذا أقبل ظلامه وأدبر وهو من الأضداد يقال عسعس الليل وسعسع إذا أدبر[٢].

وقيل : عسعس بمعنى ولى وذهب وأدبر فمن رجح الاقبال : قال : أقسم الله تعالى بإقبال الليل وإقبال النهار وأقسم بالصبح إذا تنفس مقابل الليل إذا عسعس، ولهذا أقسم بالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى.

ومن رجح أنه إدباره احتج بقوله تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ)[المدثر :٣٣، ٣٤].

فأقسم بإدبار الليل واسفار الصبح وذلك نظير عسعسة الليل وتنفس الصبح، وقيل الأحسن : أن يكون القسم بأنصرام الليل وإقبال النهار، فإنه عقيبه من غير فصل . فهذا أعظم فى الدلالة والعبرة[٣].

وأقول: إن الأولى ترجيح عسعسة الليل بإقباله وذلك فى المقابلة والمناسبة بين الإقبالين ولما فيهما من التناقض ورؤية هذه الكواكب عند إقبال الليل وظلمته الحالكة وليست ساعة إدبارة .

وفى العلم الحديث :

اكتشف العلم الحديث كثيرا من الحقائق الكونية منها : أن كثيرا من النجوم ذات الكثافة العالية جدا تجذب إليها كل شىء حتى الضوء مما جعل

---

(١) اللسان "نفس" .

(٢) تفسير البيضاوى ٧٣٢ .

(٣) التبيان فى أقسام القرآن ١/٢٣١ ، ٢٣٢ .

العلماء يخبرون إنها المقصودة من قوله تعالى : (فلا أقسم بالخنس الكنس) فهى جوار كنس [هذه النجوم] تعمل كما لو كانت مكانس شفط عملاقة فى الفضاء[١].

وقيل : إن عسعس هى تكرار لعس والتكرار فى هذه الحالة يفيد تكرار الفعل فى قوله تعالى : (والليل إذا عسعس) إشارة إلى تحول الليل فى أطراف الأرض؛ القطعة منها بعد القطعة، فى عملية مستمرة لا تنتهى إنه تجول لليل فى جهات الأرض لا ينتهى ما دامت الشمس والأرض وهو يعس ويعس أو يعسعس[٢].

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه :

١ – الاستمرارية فى سير النجوم وكنسها لما يعلق بالجو حتى تنفجر فى النهاية مكونة نجوما أخرى وهكذا دواليك[٣].

كما أن الليل فى عسعسة دائمة على الأرض ودوران وتعقب للنهار، وذلك النهار فى تعقيب لليل يمحو الظلمة ويخفى النجوم عن العيون وكأنه يكنس ويزيل هذه الظلمة كالنجوم، والليل يرينا هذه النجوم السيارة التى تنتقل وتسير فى أفلاكها سيرا منتظما فى خلق جديد لنجوم أخرى كالقرآن الكريم فى عطائه المستمر المتجدد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

- قال تعالى : (فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)[الحاقة :٣٨ ــ ٤٠].

---

(١) انظر الاعجاز العامى فى القرآن الكريم د/ زكريا هميمى . مكتبة مدبولى ٢٠٠٢ ج ١٨٦ .

(٢) انظر : المنحد ٢٦٩ .

(٣) وذلك أن هذه النجوم عالية الكثافة عندما تصل إلى كتلة حرجة تنفجر وتتحول إلى دخان يخلق منه نجوما أخرى جديدة وهذه تسمى دورة حياة النجوم .
انظر : الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم د/ زكريا هميمى ج ١٨٦ .

فى التفسير :

قيل : إن لا رد لكلام المشركين كأنه قال : ليس الأمر كما تقولون ولا زائدة مؤكدة والتقدير أقسم بما ترونه وما لا ترونه، وهو قسم بالأشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصر قيد فيه جميع المخلوقات.

وقيل : إن لا ليست زائدة بل هى لنفى القسم كأنه قيل : لا أحتاج إلى قسم لوضوح الحق فى ذلك(١).

وقيل : هذا أعم قسم وقع فى القرآن، فإنه يعم العلويات والسفليات، والدنيا والآخرة، وما يرى ، ويدخل فى ذلك ، الملائكة كلهم، والجن، والإنس، والعرش، والكرسى، وكل مخلوق.

وكل ذلك من آيات قدرته، وربوبيته كما تضمن هذا القسم، أن كل ما يرى وما لا يرى آية، ودليل على صدق رسوله، وأن ما جاء به هو من عند الله، وهو كلامه، لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن(٢).

قال تعالى : (ويخلق ما لا تعلمون) وأين المرء من الكون الفسيح الذى يحيط به؟

لا شىء أبداً.وما أكثر ما خلق الله مما نعلم، ولكن المولى أقسم بشىء يخص البصر، مما نراه وما لا نراه فقال : فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون، فقد أقسم بما نبصر وما أقله، وأقسم بما لا نبصر وما أكثره، وأعظم خطراً.

أقسم الحق سبحانه بما له علاقه بالبصر، ولم يقسم بغيره مما هو محسوس، ذلك لأنه رغم كونه يعطينا أوسع احساس، وأبعده وأسرعه بما يحيط بنا، فإنه رغم ذلك لا يصلنا منه إلا القليل . إنه الضعف وإنها المحدودية التى لا يتساوى فيها كل ما خلق الله(٣).

---

(١) تفسير القرطبى ٢٧٤/١٨، وتفسير زائد المسير ٣٥٤/٨ .

(٢) التبيان فى أقسام القرآن لابن قيم الجوزية تحقيق : محمد زهرى النجار طبع ونشر المؤسسة السعدية بالرياض ج٣٢٠/١ .

(٣) أسرار الكون فى القرآن ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

فقد أقسم الحق بأن القرآن الكريم من وحيه وأنه لقول رسول كريم أمين سواء أكان للرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أم جبريل ــ عليه السلام ــ لم يزد حرفا ولم ينقص فيه حرفا.

والرابط بين المقسم به والمقسم عليه :

عظمة خلق الله فيما يرى وما لا يرى وما أكثر ما لا يرى فإن فى الكون كل لحظة يكتشف فيها شيء جديد رغم وجوده من بداية الخليقة غير مرئى لمن سبق. والقرآن الكريم متجدد بما فيه مما علم ومما لا يعلم بعد .

وسيعلم بمرور الزمن وها هو العلم يرينا كل يوم حقائق كونية من الدقة والعظمة بمكان رغم قرآتنا للآيات وقراءة من سبقنا له ــ أى القرآن ــ ولكن تجدده لا ينقطع كما فى الكون أيضا مما لا تبصره وسوف يبصره غيرنا ، أضف إلى ذلك أن ما نبصر وما لا نبصر حقيقة واقعة ثابته وكذلك القرآن الكريم حقيقة من عند الله كذلك.

* قال تعالى : (حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[الزخرف :١ ــ٣].

اللغة :

اختلف أهل التأويل فى معنى حم : فمنهم من قال : انها حروف مقطعة من اسم الله الذى هو الرحمن، وقال آخرون: هو قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله .

وقال آخرون : هو اسم من أسماء القرآن .

وقال آخرون : هو حروف هجاء[1].

المبين : البيان ما بين به الشيء من الدلالة وغيرها .

وبان الشيء بيانا : اتضح فهو بين، وأبان الشيء فهو مبين والتبيين الإيضاح والوضوح أيضا .

ويقال : بان الحق يبين بيانا فهو بائن، وأبان يبين إبانة، فهو مبين بمعناه، ومنه قوله تعالى (حم والكتاب المبين) أى البين، الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة. وأبان كل ما تحتاجه الأمة[1].

---

(١) تفسير الطبرى ٢٤/٥٠ .-

وبان الشيء وأبان إذا اتضح وانكشف، فلان أبين من فلان أي أوضح كلاما منه[٢].

عرب : له أصول ثلاثة أحدهما : الإبانة والإفصاح، والآخر: النشاط وطيب النفس، والثالث فساد فى جسم أو عضو.

فمن الأول : أعرب الرجل عن نفسه إذا بين وأوضح. قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الثيب يعرب عنها لسانها والبكر تستأمر فى نفسها . وجاء فى الحديث : يستحب حين يعرب الصبى أن يقول : لا إله إلا الله سبع مرات : أى حين يبين عن نفسه ويحتمل أن يكون الاعراب منه لأنه إبانة للفاعل والمفعول وغيره[٣].

المعنى :

أقسم الله بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله : " إنا جعلناه "أن صيرناه قرأنا عربيا " جوابا للقسم وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب المقسم به والمقسم عليه، والمبين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليبهم أو الواضح للمتدبرين أو للذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة من أبواب الديانة "لعلكم تعقلون " لكى تفهموا معانيه[٤].

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه :

التناسب واضح لذى نظر ولب ألا وهو ما وصف به القرآن الكريم من الإبانة والوضوح والهداية والرشاد فهو بين واضح لمن يتدبره وكان باللغة العربية واضحا، لأن كلمة عرب تحمل معنى الإبانة والوضوح والإخبار عن النفس فتطابقت كلمة عربى مع القرآن تمام التطابق .

---

(١) لسان العرب "بين"

(٢) مقاييس اللغة " بين".

(٣) مقاييس اللغة "عرب" .

(٤) تفسير النسفى ١١٣/٤ .

* قال تعالى : (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ)[ص :١ ــ٢].

اللغة :

ص : بمنزلة حم، وألم ، وطس ، ون ، وق . تلك حروف مفرده وهى متعددة[١].

وقال العلماء فيها أقوال كثيرة منها :

١ – قيل : إنها للتحدى والتنبية على الاعجاز .

٢ – قيل هى فواتح افتتح الله بها وهى أسماء للسور.

٣ – قيل : هى من أسمائه ، وذلك لشرفها وفضلها .

٤ – وقيل هى حروف من حروف المعجم استغنى الله بذكر ما ذكر منها عن ذكر بواقيها، وقيل غير ذلك[٢].

القرآن : التنزيل ويسمى كلام الله الذى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابا وقرآنا، وفرقانا ، وفيه معنى الضم لأنه يجمع السور فيضمها .

وقيل : معنى قرأت القرآن : لفظت به مجموعا أى ألقيته[٣].

ذو : اسم ناقص بمعنى : صاحب، وأصل [ذو] : ذوى مثل عصا، فالألف منقلبه عن واو، وقيل : عن ياء فإذا كانت عن واو فالمحذوف العين، وإذا كانت عن ياء فالمحذوف اللام[٤].

الذكر : الحفظ للشىء، والشىء الذى يجرى على اللسان، والشرف والصيت، وفى القرآن " إنه لذكر لك ولقومك" أى شرف لك ولهم، والكتاب الذى فيه تفصيل الدين[٥].

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن ٣١١/٢ .

(٢) انظر الطبرى ٦٧/١، والقرطبى ١٥٤/١، والتبيان ٣٦٥/١ .

(٣) اللسان : "قرأ" .

(٤) اللسان : "ذو" .

(٥) اللسان "ذكر" .

عزة : العز : خلاف الذل ، والأصل : القوة والشدة والغلبة، والعز والعزة الرفعة والامتناع، والعزة لله، وعز الشيء يعز عزا وعزازة وهو عزيز، قل حتى ما كاد يوجد، وهذا جامع لكل شيء[١].

الشقاق : غلبة العداوة والخلاف، والخلاف بين اثنين أو فريقين، وسمى بذلك ؛ لأن كل فريق من في العداوة قصد شقا أى ناحية غير شق الآخر[٢].

المعنى :

إن ذكر الحروف فى أول بعض السور تنبيه على شرف الحروف وعظم قدرها وجلالها، إذ هى مبانى كلامه وكتبه التى تكلم بها سبحانه، وأنزلها على رسله، وهدى بها عباده ٠٠ وهذا من أعظم آياته، كما أنها داله على وحدانيته وقدرته وحكمته وكماله وكلامه وصدق رسله[٣].

كما أن ذكر هذه الحروف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الاعجاز ثم اتبعه القسم المحذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كأنه قال : " ص والقرآن ذى الذكر" أى الشرف إنه لكلام معجز، ويجوز أن يكون "ص" خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم للسورة كأنه قال : هذه "ص" أى هذه السورة التى أعجزت العرب٠ والقرآن ذى الذكر كما تقول : هذا حاتم والله : تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله ٠

وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال : أقسمت بـ "ص" والقرآن ذى الذكر إنه لمعجز، ثم قال : بل الذين كفروا فى عزة وشقاق أى تكبر عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق و"شقاق" خلاف لله ورسوله، والتنكير فى عزة وشقاق ٠ للدلالة على شدتها وتفاقمها[٤].

---

(١) اللسان "عز" ٠

(٢) اللسان : "شق"

(٣) التبيان فى أقسام القرآن ٣٦٦/١ ٠

(٤) تفسير النسفى ٣٣/٤ ٠

وقيل ذى الذكر : ذى البيان والشرف أى من آمن به كان شرفا له فى الدارين كما قال تعالى : (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم)، أى شرفكم، وذلك لاعجازه واشتماله على ما لم يشتمل عليه غيره، وقيل جواب القسم قوله تعالى : (بل الذين كفرو فى عزة وشقاق) وقيل الجواب محذوف تقديره : لتبعثن[1].

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه :

أقسم الله بالقرآن الموصوف والمشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم فى المعاش والمعاد، وفيه شرف، وذكر لمن آمن به وفيه شرف وذكر للعرب الذين آمنوا به بما فيه ذكرهم وشرفهم . فهى للقرآن وأهله ولمن اتبع ما جاء به.

أما من خالفه ولم يؤمن به فهم فى غير ذلك. لأنهم قالوا: (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ)[المنافقون:٨].

فهم فى امتناع وتكبر عن قبول القرآن وعن دخولهم تحت عبادة الله واتباع منهج رسوله صلى الله عليه وسلم . فلم يحدث لهم الشرف والذكر والمكانة فالقسم كان بالقرآن لاثبات صفة الذكر للقرآن واتباعه وينفيها عن غيرهم ممن كفر وعاند تكبرا واستنكارا، ويصفهم بالمعاندين لما فيه . فجاء القسم ليثبت هذه الصفة للمؤمنين وينفيها عن الكافرين .

ويؤكد ذلك لما قيل من أن جواب القسم بل الذين كفروا فى عزة وشقاق. لأن بل نفى لأمر سبق وإثبات لغيره[2].

فنفى الذكر والشرف والشأن والمكانة للكافرين وأثبتها للمؤمنين.

* قال تعالى : (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ)[ق :١ ــ ٢].

ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شى عجيب).

---

(١) تفسير القرطبى ١٤٢/١٥ .

(٢) تفسير القرطبى ١٤٢/١٥ .

اللغة :

المجيد : الرفيع الكريم، رجل ماجد؛ مفضال كثير الخير شريف، والمجيد : فعيل منه للمبالغة، وقيل : هو الكريم المفضال إذا قورن شرف الذات وحسن الفعال، وفعيل أبلغ من فاعل، فكأنه جمع معنى الجليل والوهاب والكريم[١].

العجب والعجب : إنكار ما ورد عليك لقله اعتياده ،وأصل العجب في اللغة : أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال : عجيب، وقيل العجب : النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد، والعجيب: الأمر يتعجب منه[٢].

نذر بالشيء وبالعدو نذرا : علمه فحذره، وتناذر القوم : أنذر بعضهم بعضا وخوف بعضهم بعضا.

والنذير : المحذر، ويكون بمعنى المنذر، وكأن الأصل :فعلة ومثله السميع بمعنى المسمع، والبديع بمعنى المبدع.

وأصل الإنذار : الاعلام، يقال أنذرته أنذره إنذارا إذا أعلمته، فأنا منذر ونذير أى معلم ومخوف ومحذر[٣].

المعنى :

ذكر هذا الحرف للتحدى به والتنبيه على الاعجاز ثم اتبعه بالقسم بالقرآن الكريم ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن وقف على معانيه وعمل بما فيه له عند الله وعند المؤمنين مكانه وشرف كذلك[٤].

واختلف فى جواب القسم : فقيل : محذوف يشعر به الكلام كأنه قيل : والقرآن المجيد إنا أنزلناه لتنذر به الناس ، وقيل الجواب: محذوف تقديره : إنك جئتهم منذرا بالبعث ، أى إنك منذر. وقيل لتبعثن .

وقيل : إنه مذكور وهو قوله : (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) ومثل قوله تعالى : (ما يبدل القول لدى).

---

(١) اللسان "مجد".

(٢) اللسان "عجيب".

(٣) اللسان "نذر".

(٤) تفسير النسفى ١٧٥/٤ .

وقيل : إن بل للإضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف فكأنه قيل : إنا أنزلناه لتنذر به الناس فلم يؤمنوا بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للتكبر والتعجب مع كونهما أوقف شيء لقضية العقول وأقر به إلى التلقى بالقبول وقيل التقدير إنك جئتهم بالبعث فلم يقبلوا بل عجبوا أو فشكوا فيه بل عجبوا على معنى لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الأمور العجيبة(١).

وقيل : الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم وهو اثبات النبوة وإثبات المعاد وتقريره وتحقيقه، وإن لم يكن القسم يلتقى لفظا(٢).

ومن ذلك قيل : اتحد المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن فأقسم بالقرآن على ثبوته، وصدقه، وأنه حق من عنده ولذلك حذف الجواب، ولم يصرح به لما فى القسم من الدلالة عليه(٣).

المطابقة بين المقسم به والمقسم عليه :

إذا قلنا إن جواب القسم يفهم من قوله تعالى : (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب).

فكان القسم بالقرآن الكريم المتصف بالمجد والشرف على غيره من الكتب بما فيه وما اشتمل عليه من الغيبات وما دل عليه من صدق محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أنه حق منزل من عند الله عز وجل وفيه رد على الكفار والمشركين الذين انكروا هذا الكتاب المنزل ولم يكتفوا برد هذا القرآن بل عجبوا من أن يأتيهم منذر منهم.

كما قال تعالى : (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ) [يونس : ٢].

فالمطابقة هو اتحاد المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن وكان ردا على المنكرين للقرآن وزادوا فى انكارهم وجهلهم بتعجبهم من صاحب الرسالة المنذر لهم بالقرآن الكريم المجيد وبما فيه من البعث والحساب .

---

(١) تفسير الألوسى ٢٥٩/٢٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٦٧/٧ .

(٣) التبيان فى أقسام القرآن ٣١١/١ .

المبحث الثالث

القسم والرسول الأعظم

والذى أقسم الله فيه بالقرآن الكريم على أنه رسول من عند الله يسير على صراط مستقيم، كما أقسم المولى بالضحى والليل وإستمرارهما على حفظ الله ورعايته، وكلئه حبيبه ومصطفاه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعلى ما أعده الله له من النصر والتأيد فى الدنيا علاوة على ما فى الآخرة من الخير الباقى، ثم أقسم المولى بنفسه لخطورة الموقف فى أنه يجب الرجوع إلى الرسول لنحتكم إليه ونأخذ بما يحكم، ثم أقسم بالنجم حالة سقوطه على أن ما نطق به الرسول وبما جاء به قولا وعملا إنما هو من عند الله عز وجل، ثم جاء الاقسام بالقلم وما يسطر على رجاحة عقل النبى الخاتم، وأن نعم الله التى حطت به ما زادته إلا رزانه وعلما وفصاحة.

الآيات

* قال تعالى : (يس وَالْقُرْآنِ الحكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[يس: ١ــ٤].

اللغة :

الحكم والحكيم وهما بمعنى الحاكم وهو القاضى، فهو فعيل بمعنى فاعل، وهو الذى يحكم الأشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل وقيل الحكيم ذو الحكمة وهى معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم .

والحكيم العالم، وصاحب الحكمة .

ومن صفة القرآن الكريم : الحكيم أى الحاكم لكم وعليكم، أو هو المحكم الذى لا اختلاف فيه ولا اضطراب[1].

---

(١) اللسان "حكم" .

المعنى :

أقسم الله بالقرآن المحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنك يا محمد لمن المرسلين على صراط مستقيم أى على منهج ودين قويم وشرع مستقيم[1].

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه :

علاقة القرآن بمحمد ورسالته واضحة فالقرآن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الباقية وهى عين المنهج، واتصاف القرآن بالحكيم وكذلك الرسول لا بد أن يكونا كذلك متصفين بهذه الصفة، ولو لم يكن الرسول حكيما، حيث يضع الشيء فى موضعه، ومعرفته بالله وبما جاء به من عند الله لاتصف بغير ذلك وهو محال أن لا يكون كذلك من الحكمة بمكان ٠

ووصف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه مرسل من ربه والقرآن كلام الله المنزل على رسوله، وهو هداية للناس، وقد قال : صلى الله عليه وسلم عن القرآن الكريم : هو الصراط المستقيم والذكر الحكيم، ووصف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه الآيات بأنه على صراط مستقيم ٠

* قال تعالى : (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى)[الضحى :١ ـ ٤]٠

اللغة :

ضحا الرجل : ضحوا وضحوا وضحيا : برز للشمس وقيل أصابه حر الشمس ٠ ومنه ضحى الشيء وأضحيته، أظهرته[2].

سجى : سكن ودام ، وقيل : أظلم وركد، وقيل: امتد بظلامه، وسجو الليل تغطية النهار، والسجو : سكون الامواج ثم عم والتسجية : تغطية الميت بثوب من سجا وسجى وأسجى وكله من التغطية[1].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٩٩/٦ ٠-

(٢) لسان العرب "ضحا" ٠

ودع : من التوديع، وهو فى الأصل من الدعة وهو أن تدعو المسافر بأن يدفع الله عنه كآبة السفر وأن يبلغه الدعة، وخفض العيش كما أن التسليم " دعاء له بالسلامة ، ثم صار متعارفا فى تشييع المسافر وتركه ثم استعمل فى الترك مطلقا . وفسر فى الآية : ما تركك ربك .

وقيل : التوديع مبالغة فى الودع، أى الترك لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك[٢].

القلى : البغض ، والمعنى فى الآية أى وما ابغضك .

المعنى :

هذا قسم يدل على إنعام الله على رسوله وإكرامه له وإعطائه كل ما يرضيه .

وذلك متضمن لتصديقه، فهو قسم على صحة نبوته، وعلى جزائه فى الآخرة، فهو قسم على النبوة والمعاد .

وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته الدالة على ربوبيته وحكمته ورحمته جل وعلا هما الليل والنهار[٣].

وجه المطابقة والتناسب بين المقسم به والمقسم عليه :

نور الضحى الذى يوافى بعد ظلمة الليل، للمقسم عليه، وهو : نور الوحى، الذى وافاة بعد احتباسه عنه، حتى قال : أعداؤه : ودع محمدا ربه .

فأقسم بضوء النهار ، بعد ظلمة الليل على ضوء الوحى، ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه .

وأيضا : إن فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار، وهو الذى فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحى والنبوة فهذان للحس، وهذان للعقل.

---

(١) لسان العرب : "سجا" .

(٢) الألوسى ٢٧٦/٢٩ .

(٣) التبيان فى أقسام القرآن ١٥٧/١ .

وأيضا فإن الذى اقتضت رحمته، أن لا يترك عباده فى ظلمة الليل سرمدا، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم، لا يليق به أن يتركهم فى ظلمة الجهل والغى، بل يهديهم بنور الوحى والنبوة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم(١).

وأقول : من المطابقة ايضا .

عدم ترك الله لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وذلك بالرغم من توقف الوحى عنه مده زمنية معينة، إنما هو تعليم له وتدريب على ترك الأمر لله أولا وآخرا. فلا بد أن نقول بعد ما نعمل بالأسباب ونترك الأمر لله . كل ذلك بعد مشيئته سبحانه وتعالى لأنه لا يكون فى الكون إلا ما شاء وما أراد سبحانه.

وأعود رغم اختلاف الضحى عن الليل فى الظهور والعوالم فيه من شمس وغيرها وسكون الليل واشتداد ظلمته، والسكون الحادث بتغطية ظلمة الليل بنور الشمس إلا أنهما كائنان على وجه الأرض معا وكذلك أنت يا محمد فالله معك سواء نزل الوحى أم لم ينزل فإنه معك ما تركك وما ابغضك بل إنه يحبك حبا ما أحبه أحد من خلقه.

وأقول : أن فترة الضحى وفترة الليل الساجى فترة ما وجد فيها صلاة مكتوبة بل الصلاة لمن أراد أن يكون مقربا من الله عز وجل فقد واظب صلى الله عليه وسلم على صلاة الضحى والليل.

وكذا فى فضل صلاة الليل وقيامه، فالله يقول لرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً) [الإسراء : ٧٩].

فصلاة الضحى من أفضل وأقرب القربات إلى الله، وصلاة الليل لمحمد تجعله ينال الدرجة المحمودة المرموقة التى يتمناها بما فيها من بركة وصلة،

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن ١٥٨/١ .

كذلك الضحى والليل من وجودهما من الخير فيهما فاعلم أن الله قد حفظك ورعاك وهو دائما معك مؤيدا ونصيرا فى الدنيا والآخرة ٠

* قال تعالى : (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) [النساء :٦٥]٠

أسباب النزول :

عن عبد الله بن الزبير قال : " خاصم الزبير رجلا من الأنصار فى شراج الحرة، فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك ، فقال الانصارى يا رسول الله إن كان ابن عمتك متلون وجهه ثم قال : اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك واستوعب الزبير حقه، وكان أشار عليهما بأمر فيه سعة، قال الزبير فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت فى ذلك[١]٠

المعنى :

لا رد على ما تقدم تقديره فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ثم استأنف القسم وقيل إنما قدم لا على القسم اهتماما بالنهى وإظهارا لقوته وفى قوله تعالى (فلا وربك) دلالة على أن الإيمان الحقيقى لا يحصل إلا لمن حكم الله ورسوله على نفسه، قولا وفعلا، وأخذا وتركا وحبا وبغضا فتبين لك من هذا أنه لا تحصل لك حقيقة الإيمان بالله إلا بأمرين الامتثال لأمره والاستسلام لقهرة سبحانه[٢]٠

المناسبة بين ما أقسم الله به وما أقسم عليه ٠

أقسم الله بنفسه لأن الأمر خطير أن يكون الانسان مؤمنا لا يأخذ بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فكان القسم بالله لعظم الأمر، ثم أضيف إلى النبى

---

(١) انظر : اسباب النزول للواحدى دار المعرفة ج ١٧١ ٠

(٢) تفسير الثعالبى ٣٨٧/١ ٠

لأن الحادثة معه صلى الله عليه وسلم وقد خولف أمره فكان المقسم عليه الإيمان الحقيقى لا يكون إلا بالامتثال لأمره والاستسلام له والانقياد له.

وأول ذلك طاعة رسوله وقبول تحكيمه (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)[النساء: ٦٥] عن رضا ويقين.

* قال تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) [النجم : ١ ــ٤] .

اللغة :

أصل النجم : الطلوع، يقال نجم السن ونجم فلان ببلاد كذا إذا خرج على السلطان(١).

هوى : هوى وأهوى وانهوى : سقط وهوى يهوى هويا وهويا وهويانا، وانهوى سقط من فوق إلى أسفل(٢).

الغى : الضلال والخيبة، وقيل الفساد(٣).

وقيل : الغى الجهل مع اعتقاد فاسد وهو خلاف الرشد(٤).

ضل : الضلال والضلالة ضد الهدى والرشاد، ويقال : أضللت الشيء إذا غيبته، وأضللت الميت : دفنته، وضللت المسجد أو الدار : إذا لم تعرف موضعها وضل الشيء : إذا ضاع، وضل عن الطريق إذا جار، وضل الناسى إذا غاب عنه حفظه الشيء(٥).

---

(١) تفسير القرطبى ٥٥/١٧ .

(٢) اللسان "هوى" .

(٣) اللسان "غوى" .

(٤) تفسير الألوسى ٧٠/٢٧ .

(٥) اللسان " ضل " .

المعنى :

أقسم الله بالنجم الذى هو اسم جنس أراد به النجوم، وقيل : إذا غاب وقيل : إذا انقض فى أثر العفريت عند استراق السمع وقيل الثريا وسقوطهما مع الفجر هو هويها[١].

وجواب القسم (ما ضل صاحبكم وما غوى) أن ما ضل محمد عن الحق وما حاد عنه، وما صار غاويا، وقيل ما تكلم بالباطل، وقيل ما خاب مما طلب[٢].

وهو شهادة للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأنه راشد تابع للحق ليس بجاهل ولا غاو؛ إذ الغاوى هو العالم بالحق العادل عنه قصدا إلى غيره، فنزه الله نبيه عن مشابهة أهل الضلال .

بل ما بعث به من الشرع غاية فى الاستقامة والاعتدال والسداد[٣].

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه :

أقسم الله بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التى نصبها الله سبحانه آية وحفظا للوحى من استراق الشياطين له، على ما أتى به رسوله حق وصدق، لا سبيل للشيطان ولا طريق له إليه بل قد حرس بالنجم إذا هوى رصدا بين يدى الوحى وحرساله كما أن المقسم به دليل على المقسم عليه[٤].

فالنجم حفظ ما أنزله الله على رسوله من استراق الشياطين له ويكون سببا فى حفظ ما يبلغه الرسول إلى الناس عن ربه بأحراق الشياطين ، وحتى ينفى كل شائبة تلوح فى الأفق أو مما قاله الكفار والمشركون وغيرهم فقد حفظه

---

(١) تفسير الثعالبى ٢٢٢/٤ .

(٢) تفسير القرطبى ٥٥/١٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤١٠/٧ .-

(٤) التبيان فى أقسام القرآن ٩/٢ .

الله وحرس ما أنزله إليه فكان فى غاية الاستقامة والرشاد فالمقسم به دليل على تنزيه رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وبراءته مما نسب اليه الأعداء من الفساد والميل عن الحق وعدم الرشاد.

* قال تعالى : (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)[القلم:١ ـ٢].

اللغة :

القلم: الذى يكتب به سمى بذلك لأنه قلم مرة بعد مرة من هذا قيل : قلمت أظفارى ، وقلمت الشىء بريته[١].

السطر : الصف من الكتاب والشجر والنخل والخط والكتابة، وهو فى الأصل مصدر يقال : سطر من كتب سطر من شجر معزولين، سطر يسطر إذا كتب[٢].

جن : جن الشىء يجن جنا : ستره، وكل شىء ستر عنك فقد جن، وجنون الليل ما ستر من ظلمته .

وجن الرجل جنونا وأجنه الله فهو مجنون، والجنة بالكسر الجنون، وفى الحديث : لو أصاب ابن آدم فى كل شىء جن أى أعجب بنفسه حتى يصير كالمجنون من شدة إعجابه[٣].

المعنى :

أقسم الله جل وعلا بالقلم وما يسطرون ، فأقسم بالكتاب وآلته وهو القلم الذى إحدى آياته وأول مخلوقاته، الذى جرى به قدره وشرعه، وكتب به الوحى، وقيد به الدين، واثبتت به الشريعة، وحفظت به العلوم، وقامت به مصالح العباد فى المعاش والمعاد[٤].

---

(١) اللسان "قلم" .

(٢) اللسان "سطر" .

(٣) اللسان "جن" .

(٤) التبيان فى أقسام القرآن ١/٣٧٠ .

وجاء جواب القسم تنزيه نبيه ورسوله ومصطفاه عما يقولـــه أعـــداؤه، فقال: جل وعلا ما أنت بنعمة ربك بمجنون، أى بإنعامة عليك بالنبوة والرســـالة والقرآن العظيم، وغيرها من نعم الله عليه ـــ صلى الله عليه وســـلم ـــ وكانـــت النعمة تتحدد فيما جاء به الرسول عن ربه عز وجل من القرآن الكريم ٠

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه :

فقد أقسم المولى بآلة الكتابة وهى القلم الذى بـــه تثبـــت أنـــواع العلـــوم وتتداول وتتناقل، ويتلقاها البشر بعضهم عن بعض، لا تصدر من مجنـــون ولا تصدر إلا من عاقل وافر ٠

فكيف يصدر ما جاء به الرسول الكريم من هذا الكتاب الذى هو أعلـــى درجات العلوم، بل العلوم التى تضمنها ليس فى قوى البشر ومقدورهم الاتيـــان بها ولا سيما من أمى لا يقرأ ولا يكتب مع كونه فى أعلى درجـــات الفصـــاحة والبلاغة والبيان سليما من الاختلاف بريا من التناقض يستحيل من العقـــلاء أو من الإنس والجن قاطبة أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيـــرا، فكيـــف يتأتى من مجنون لا عقل له، يميز به ما عسى كثير من الحيوان أن يميزه فهـــل هذا إلا من أقبح البهتان وأظهر الإفك؟[1].

فالمطابقة إذا والمناسبة بين ما سطر بالقلم من العلوم لا يتـــأتى إلا مـــن عقلاء وبين ما أتى به الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ رغم ما فيه من الكمال ورغم أن الرسول لم يقرأ كتابا لم يكتب بقلم إلا أنه أتى بهذا القرآن العظيم إذن فهو معجزة من الله عز وجل يستحيل على البشر الاتيان بها ٠

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن ٣٨٢/١ ٠

المبحث الرابع
القسم والقيامة وما يتبعه من بعث وجزاء

فقد أقسم الله بنفسه هنا لخطورة الأمر الذى يتعلق بالرسول الكريم والقرآن العظيم ولعظم المقسم عليه أيضا فيما يتعلق بشىء عظيم وهو الحساب والعقاب وجمع الكفرة والعصاة والمذنبين مع الشياطين ليلاقوا مصيرهم وجزاء أعمالهم ، وذلك فى أربعة مواضع.

ثم أقسم المولى بما يحدث للانسان فى الدنيا وقبيل موته على البعث والحساب وكذا موقف وحال قلوب العباد وخاصة العصاة منهم والمذنبين وكذا أقسم الله بيوم القيامة وحال نفس الانسان التى تلومه على كل حال وعلى جمع الإنسان واحيائه مرة أخرى للعقاب والحساب فى ذلك اليوم ، ثم جئ بثلاثة مواضع على وقوع ومجئ يوم الحساب وما وعد الله به المؤمنين وأوعد به العصاة والمذنبين لا بد من وقوعه وتحققه لأهله وذلك فى سورة الذاريات والطور والمرسلات .

الآيات

* قال تعالى : (كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الحجر : ٩٠ ــ ٩٣].

كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون).

اللغة :

المقتسمين : قسم الشىء جزاءه، والقسم الشك وقيل القدر، وأقسمت : جعلت من القسامة، والمقتسمين هم الذين تقاسموا وتحالفوا على كيد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقيل هم اليهود والنصارى الذين جعلوا القرآن عضين آمنوا ببعضه وكفرو ببعضه[1].

---

(١) اللسان "قسم" .

عضين : والعضين جمع واحدتها عضة وأصلها عضوة من عضيت الشيء إذا فرقته وجعلوا النقصان الواو.

والمعنى : أنهم فرقوا أقاويلهم فى القرآن فجعلوه كذبا وسحرا وكهانة، وقيل أصلها عضهة وجعلوا النقصان للهاء وأصل العضه عضهة فاستثقلوا الجمع بين هاءين فقالوا عضة كما قالو شفة والأصل شفهة وقيل : العضون فى كلام العرب السحر(١).

المعنى :

أقسم الله بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحدا واحدا من هؤلاء المقتسمين عما قالوه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو فى القرآن أو فى كتب الله(٢).

وقيل لنسألن يوم القيامة أصناف الكفرة مطلقا المقتسمين وغيرهم سؤال تقريع وتوبيخ(٣).

والظاهر أن المقتسمين فى الآية هم اليهود والنصارى لأنه ذكر قبل ذلك (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ثم اردفه بقوله جل وعلا كما أنزلنا على المقتسمين وهو ما أنزله الله عليهم من قبل إنزال القرآن من التوراة والانجيل ففرقوا بين آياته.

كما قال تعالى : (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) [البقرة : ٨٥].

المطابقة بين المقسم به والمقسم عليه :

أقسم الله بنفسه وقد أضاف كلمة الرب إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ذلك لأن الذين أقسم الله عليهم وهم المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين

---

(١) لسان العرب "عضه" .

(٢) تفسير النسفى ٢٧٩/٢ .

(٣) تفسير الألوسى ٨٧/١٤ .

ليجمعنهم ويسألهم عما كانوا يقولون ويعملون فى محمد صلى الله عليه وسلم وفيما أنزل عليه ٠

فإضافة كلمة الرب إلى الضمير المخاطب العائد إلى محمد صلى الله عليه وسلم يتناسب ومع ما يسألهم لأنهم قالوا فى محمد ورسالته وكتابه القرآن الكريم فكانت هذه الإضافة ٠

* قال تعالى : (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا)[مريم :٦٨]٠

اللغة :

الجثوة : الحجارة المجموعة، والجسد والجذوة والوسط، وجثا الحرم ما اجتمع فيه من الحجارة التى توضع على حدود الحرم وجثا : جثوا وجثيا٠ بضمهما : جلس على ركبتيه أو أقام على أطراف أصابعه(١)٠

وأصل جثيا : جثوو ــ كسجود(٢)٠

المعنى :

أقسم الله بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعا وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله، ثم ليحضرنهم حول جهنم قعودا وقيل قياما(٣)٠

وقيل : يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم(٤)٠

والقسم بالله وإضافته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيه تعظيم وتفخيم بشأن محمد صلى الله عليه وسلم ٠

المطابقة بين ما أقسم الله به وما أقسم عليه:

أقسم الله بنفسه لعظم ما أقسم عليه وهو رده على من ينكر البعث والحساب واضيف الرب إلى محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ردا على من أنكر

---

(١) القاموس المحيط "جثا" ٠

(٢) تفسير النسفى ٣/٤٢ ٠

(٣) تفسير ابن كثير ٥/٢٢٢ ٠

(٤) تفسير النسفى ٣/٤٢ ٠

ذلك فى عهده صلى الله عليه وسلم ومن ينكر فى ذلك إلى يوم القيامة وذلك لما نعلم من عالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الإنس والجن إلى ما شاء الله .

* قال تعالى : (وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ)[يونس :٥٣].

اللغة :

النبأ : الخبر، وإن لفلان نبأ أى خبر، والنبأ العظيم، قيل : القرآن وقيل البعث، وقيل عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم واستنبأ النبأ : بحث عنه[١] .

إى : كلمة تحقيق وإيجاب وتأكيد بمعنى نعم[٢] وهى لفظة تتقدم القسم ويجئ بعدها حرف القسم، وقد لا يجئ[٣].

المعنى :

يستخبرونك يا محمد عن كون العذاب قيام الساعة، وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء، فقل يا محمد نعم إن العذاب لواقع وكائن لا محالة ولستم فائتين العذاب بل واقع بكم لا شك[٤].

المطابقة بين المقسم به والمقسم عليه :

فقد أقسم بنفسه لعظم الأمر كما قال تعالى : (عما يتساءلون عن النبأ العظيم) فالذين تستبئون عنه هو خبر عظيم فكان القسم بالعظيم وقد سألوا محمدا فأضيف لفظ الرب إلى النبى المسئول العظيم أيضا فناسب القسم المقسم به فى

---

(١) لسان العرب "نبأ".

(٢) تفسير القرطبى ٣٥١/٨ .

(٣) تفسير الثعالبى ٨١/٢ .

(٤) تفسير القرطبى ٣٥١/١٨ .

العظمة ومجئ يوم القيامة والبعث للحساب وتحقيق العذاب على من كذب واستهتر وأنكر.

* قال تعالى : (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)[التغابن : ٧].

اللغة :

زعم : الزعم القول يكون حقا ويكون باطلا وقيل الزعم : الظن وقيل الكذب والزعم بضم الزاى تميمية والزعم بفتح الزاى حجازية[١].

المعنى :

قال الكفار أنهم لن يبعثوا وهذا قول باطل وكذب منهم فقل لهم يا محمد ليس الأمر كما تزعمون بل سوف تخرجون من قبوركم أحياء ولتخبرن بأعمالكم ولتحاسبن عليها[٢].

والزعم يعم كل كافر وقيل لا توجد زعم مستقلة فى فصيح الكلام إلا عبارة عن الكذب أو قول انفرد به قائله[٣].

المطابقة بين ما أقسم الله به وما أقسم عليه :

لعظم الأمر فى الرد على المشركين ولتأكيده كان القسم برب محمد صلى الله عليه وسلم فقد كذب المشركون زاعمين أن لن تكون هناك حياة بعد الموت فجاء القسم بالله مؤكدا هذه الحقيقة مضافا إليها الوعيد الشديد والعذاب المحدق بمن عمل غير صالح وقال قولا باطلا، ولأن كل شيء مسجل فيعرضه الله عليهم ليحاسبهم حسابا شديدا.

---

(١) لسان العرب "زعم" .

(٢) القرطبى ١٣٥/١٨ .

(٣) تفسير الثعالبى ٣٠٧/٤ .

وإضافة الرب إلى محمد صلى الله عليه وسلم ليتناسب مع موقف المشركين فى خطابهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وإن الشك فى قولهم من داخلهم واقع إلا أنهم يكابرون ٠

* قال تعالى : (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) [النازعات :١ ــ ٨]٠

اللغة :

نزع : أصل يدل على قلع شيء ومنه نزعت الشيء من مكانة نزعا[١]٠ فيكون النزع هو اجتذاب الشيء بقوة وقيل النازعات هى النجوم تنزع من مكان إلى مكان وتنشط[٢] ونزع الدلو : استقى بها[٣]٠

الغرق : الرسوب فى الماء٠ وأصل الغرق : دخول الماء فى سمى الأنف حتى تمتلئ منافذه فيهلك[٤]٠

وقيل الإغراق فى النزع هو أن يجتذ به إلى آخره، ومنه إغراق النزع فى جذب القوة بأن يبلغ بها غاية المد، فيقال : أغرق النزع ثم صار مثلا لكل من بالغ فى الفعل حتى وصل إلى آخره، وقيل: النازعات هى النجوم وإعراقها : غروبها، وقيل : هى شدائد الموت وأهواله التى تنزع الأرواح نزعا شديدا[٥]٠
النشط : أصل يدل على اهتزاز وحركة[٦]٠

---

(١) مقاييس اللغة "نزع" ٠
(٢) اللسان "نزغ"٠
(٣) القاموس المحيط "نزغ"٠
(٤) اللسان " غرق" ٠
(٥) التبيان فى أقسام القرآن ٢٥٣/١، ٢٥٤ ٠
(٦) مقاييس اللغة " نشط"٠

والنشيط من طابت نفسه للعمل ، ونشط الذلو : نزعها بلا بكرة، وقيل الناشطات النجوم تنشط من برج إلى آخر أو الملائكة تنشط نفس المؤمن بفيضها[١].

السابحات : سبح فى النهر وبالنهر سبحا وسباحة : عام.

وقيل السابحات : السفن، أو أرواح المؤمنين أو النجوم.

والسبح : الفراغ، والتصرف فى المعاش والحفر فى الأرض، والنوم والسكون ، والتقلب والانتشار فى الأرض ضد ــ والابعاد فى السير والإكثار من الكلام[٢].

وقيل : السابحات النجوم تسبح فى الفلك أى تذهب فيها بسطا كما يسبح السابح فى الماء سبحا[٣].

السابقات قيل : الخيل، وقيل النجوم يسبق بعضها بعضها فى السير[٤].

قيل : أرواح المؤمنين تخرج بسهولة[٥].

المدبرات : الملائكة تدبر أمر ربها فقد وكلت بأمور عرفهم الله العمل بها[٦].

المعنى :

مما سبق يتضح لنا أن معنى الآيات السابقة يتضمن كثيرا من المفاهيم. منها : تسيير أمر الله فى إخراج أرواح المؤمنين، وأرواح الكفار فالنشط

---

(١) القاموس المحيط "نشط".

(٢) القاموس المحيط "سبح".

(٣) اللسان "سبح".

(٤) تفسير زاد المسير ١٩٣/٨ .

(٥) اللسان "سبق" .

(٦) تفسير زاد المسير ١٩٣/٨ .

والجذب بقوة لأرواح الكفار مع الإيلام الشديد، والسبح فى يسر وسهوله لأرواح المؤمنين كما يعوم الانسان فى الماء ودون أن يعوقه عائق.

كما يتضمن المعنى أيضا : السفن وجريها فوق الماء واسراعها وتسابقها وسيرها بفعل الرياح وغيرها .

ويتضمن الجهاد والحرب فها هى السهام تنزع عن الأقواس والخيل تسبح بأيديها فى الهواء وهى تسير وتتسابق فى الريح ومع الريح.

وتتضمن صفات توصف بها النجوم والكواكب فى سيرها وغروبها وسرعتها الفائقة، والنظام البديع المستمر.

وإذا كانت هذه الآيات وما بعدها تتحدث عن القيامة والبحث والحساب فإن مما سبق يتناسب مع ذلك فالهلاك واقع والدمار لمن ركب البحر فى السفن فى أى وقت مع السلامة أيضا

وجواب القسم محذوف يدل عليه السياق ــ وهو البعث المستلزم صدق الرسول، وثبوت القرآن، إذ إنه من القسم الذى أريد به التنبيه على الدلالة والعبرة بالمقسم به دون أن يراد به مقسما بعينه وهذا القسم ، يتضمن الجواب المقسم عليه وإن لم يذكر لفظا.

ولعل هذا مراد من قال : إنه محذوف للعلم به، لكن هذا الوجه ألطف مسلكا، فإن المقسم به إذا كان دالا على المقسم عليه مستلزما له استغنى عن ذكره بذكره وهذا غير كونه محذوفا لدلالة ما بعده عليه[1].

وقيل :الجواب محذوف تقديره لتبعثن، وقيل الجواب قوله تعالى : (يوم ترجف الراجفة) بحذف اللام إذا التقدير ليوم ترجف الراجفة[2].

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن ٢٦٢/١ ، ٢٦٣ .

(٢) إعراب المحيط تفسير القرطبى ١٩٥/١٩ .

فانظر إلى العجب العجاب من دلالة الألفاظ ـ النزع ـ الغرق ـ السبح ـ السبق ـ كلها دالة على الجرى المبالغ فيه والسرعة فالغاية فى قطع المسافات بالقوة العظيمة، والنظام المستمر والجذب والدفع ٠

الآيات تضع أيدينا على المسافات والسرعة الكونية الهائلة لا على سرعتنا وقياساتنا الأرضية الضئيلة٠

ومجئ الآيات يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة، حول يوم القيامة هو أمر يجعلنا ترجح الرأى الذى يقول إن المقصود بالنازعات هى الكواكب السيارة وأن الآية الكريمة تتحدث عن يوم القيامة٠

وقد تكون هذه إشارة على أن القيامة تصيب المنظومة الشمسية[1]٠

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه :

باتت العلاقة واضحة إذا كان الجواب محذوفا تقديره لتبعثن، أو ما يكون من تغييرات تحدث للأرض وما يكون من نفخ الصور لصعق الناس ثم النفخ الآخر لإحيائهم كما قال تعالى : (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ) [الزمر : ٦٨] ٠

فإذا كان تقدير المقسم به ما يحدث للناس فى الحرب والقتال بالسهام والخيول ففيه هلاك يتناسب والحساب والهلاك وإذا كان المقسم به يغسر بالسفن وسبحها فى الماء ففيه هلاك يتناسب ويوم القيامة٠

فأنظر إلى الناس بعد ذلك (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ)[لقمان :٣٢]٠

وإذا كان المراد بالنازعات : النجوم والكواكب والمجموعة الشمسية فهو يتناسب أيضا مع المقسم عليه من البعث والحساب وما يحدث فى ذلك اليوم

---

(١) انظر : أسرار الكون فى القرآن ٢٧١ ٠

الرهيب للنجوم والكواكب والشمس قال تعالى : (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ)[التكوير :١ ــ٣]٠

وغير ذلك مما يحدث لهذه المخلوقات الغاية فى الكمال كيف لا تبقى ؟ (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [القصص : ٨٨]٠

* قال تعالى : (لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ)[القيامة:١ــ٤]٠

اللغة :

قال بعض النحاة : إن (لا) رد لكلام قد مضى من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار، ثم ابتدئ القسم فقيل : أقسم بيوم القيامة، وكان يقول : كل يمين قبلها رد لكلام فلا بد من تقديم (لا) قبلها ليفرق بذلك بين اليمين التى تكون جحدا واليمين التى تستأنف، ويقول : ألا ترى أنك تقول مبتدئا : والله إن الرسول لحق وإذا قلت لا والله إن الرسول لحق فكأنك أكذبت قوما أنكرون[١]٠

النفس اللوامة : المتقية التى تلوم صاحبها على التقصير[٢] وقيل المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيامة ٠ أو التى تلوم نفسها أبدا وإن اجتهدت فى الطاعة أو النفس المطمئنة اللائمة للنفس الأمارة أو بالجنس أى جنس أى نفس قال[٣] : ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا تلوم نفسها يوم القيامة، إن عملت خيرا قالت : كيف لم ازدد ، وإن عملت شرا، قالت : ياليتنى كنت قصرت[٤]٠

---

(١) تفسير الطبرى ٢١٥/٢٩، ١٢٦ ٠

(٢) تفسير النسفى ٣١٣/٤ ٠

(٣) قاله عطاء عن ابن عباس ، انظر : اغاثه اللهفان من مصايد الشيطان ٧٧/١ ٠

(٤) تفسير البيضاوى ٧٢١ ٠

المعنى :

أقسم الله عز وجل بيوم القيامة على أنه واقع لا محالة ورد على المنكرين لذلك بـ (لا) وأكد وقوعه بالربط بالنفس اللوامة التى فى ذلك اليوم المهول العظيم الذى لا ينفع فيه إلا من أتى الله بقلب سليم وعمل مرضى ثم دل على ذلك بقدرة الله على تسوية البنان وجعلها متساوية فكل شخص له بصمته الخاصة به التى تختلف من شخص لآخر. فإذا خلق الله جميع الناس مختلفة الأنامل وإن كانوا على مثال واحد فإن الذى فعل ذلك قادر على ارجاعهم مرة أخرى للحساب على أعمالهم وقد خلقهم من قبل على غير مثال سابق.

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه :

لما كان يوم المعاد وهو محل ظهور هذا اللوم ترتب . أثر القرن بينهما فى الذكر ــ يوم القيامة وظهور اللوم من النفس فى ذلك اليوم[1].

ونجد التناسب واضحا بين ما أقسم الله به وهو يوم القيامة وبين ما يحدث فى ذلك اليوم من البعث والنشور وإحياء الناس مرة أخرى للحساب .

* قال تعالى : (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً فَالْحَامِلاتِ وِقْراً فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) [الذاريات : ١ ــ ٦].

اللغة :

الذاريات : الرياح التى تذرو التراب وغيره، وهى من الفعل ذرا بمعنى فرق وبدد ما رفعه عن مكانه.وذرت الرياح التراب تذروه وتذريه أى طيرته[2].

الحمل : السحاب الكثير الماء[3].

الوقر : الثقل يحمل على الظهر أو على الرأس، وقيل الحمل الثقيل.

الحاملات وقرا : السحب يحمل الماء الذى أوقرها[1].

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن ١/٧٠ .

(٢) اللسان " ذرا" .

(٣) اللسان " حمل "

الجارية : صفة غالبة على السفينة[٢].
واليسر : اللين والانقياد[٣].

المعنى :

أقسم الله عز وجل بالرياح التى تذرو التراب والمطر وغيرهما وأقسم بالسحاب الذى يحمل الماء الثقيل ، كما أقسم بالسفن التى تسير بأمر الله وتجرى جريا سهلا يسيرا٠وختم القسم بالملائكة التى تنفذ أمر ربها وتنزل بها سواء أكانت شرعية أم كونية، وأقسم الله عز وجل بهذه الأمور على صدق وعده ووقوع جزائه بالثواب والعقاب " إنما توعدون لصادق" أى ما توعدون من أمر الساعة والثواب والعقاب، لحق كائن وهو وعد صدق لا وعد كذب[٤].

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه :

الضدية والثنائية فى الرياح، وفى المطر، وفى السفن،وفى الملائكة٠

فالرياح قد تكون خيرا وشرا، والمطر خيرا أوشرا٠، والسفن قد توصل ما فيها لغايته وقد تهلكه فى اليم٠

والملائكة : تنزل بالرحمة على بعض المخلوقات والعذاب والهلاك على غيرهم ٠

وجواب القسم : وقوع المعاد وهو خبر صدق فيه ينال من ينال الثواب، وينال غيرهم العقاب٠

والحساب : واقع وكائن لا محاله إما بالخير أو الشر٠

* قال تعالى : (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً عُذْراً أَوْ نُذْراً إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ)[المرسلات : ١ ــ ٧]٠

---

(١) اللسان "وقر" ٠
(٢) اللسان : " جرا" ٠
(٣) اللسان "يسر" ٠
(٤) التبيان فى أقسام القرآن ٢/٧٦ ٠

اللغة :

رسل : أصل واحد مطرد يدل على الانبعاث والامتداد ، والمرسلات : الرياح[١].

عرف : أصلان أحدهما يدل على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر يدل على السكون والطمأنينة ،ومن ذلك عرف الفرس لتتابع الشعر عليه، ويقال : جاءت القطا عرفا عرفا أى بعضها خلف بعض[٢].

المرسلات : قال بعض المفسرين إنها ارسلت بالمعروف والعرف والعارفة والمعروف واحد، وهو كل ما تعرفه النفس من الخبر ،وقيل في المرسلات : إنها الملائكة أرسلت متتابعة كعرف الفرس، وقيل المرسلات هي الرسل[٣].

عصفت الريح : اشتدت[٤].والعصف : كل زرع أكل حبه وبقى تبنه، وقيل العصف، ورق كل نبات . والريح العاصف : الشديدة فهي تستخف الأشياء فتذهب بها ، تعصف بها .. والعصف أيضا : الخفة والسرعة[٥].

النشر : الريح الطيبة، ونشرت الكتاب خلاف طويته، ونشر الله الموتى نشورا، وأنشر الله الموتى أيضا . ونشرت الأرض : أصابها الربيع فأنبتت[٦].

الفرق : تفريق بين شيئين فرقا حتى يفترق ويتفرقا . وتفارق القوم وافترقوا فارق بعضهم بعضا[١].والفارقات فرقا : قيل : الملائكة تنزيل بين الحلال والحرام[٢].

---

(١) مقاييس اللغة " رسل" .

(٢) مقاييس اللغة "عرف" .

(٣) تهذيب اللغة " عرف" .

(٤) مختار الصحاح "عصف" .

(٥) مقاييس اللغة "عصف" .

(٦) مقاييس اللغة "نشر".

الملقيات : كل شيء استقبل شيئا أو صادفه فقد لقيه من الأشياء كلها، وألقى الشيء : طرحه[٣].

وقع الشيء ومنه يقع وقعا ووقوعا، سقط ووقع الشيء من يدى كذلك وأوقعه غيره ووقعت من كذا وعن كذا وقعا، ووقع المطر بالأرض ولا يقال سقط ومواقع الغيث مساقطة والواقعة : النازلة من صروف الدهر، واسم من أسماء يوم القيامة[٤].

المعنى فى التفسير :

فى المرسلات أربعة أقوال ٠

أحدهما : الرياح يتبع بعضه بعضا ٠

والثانى : الملائكة التى أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه أو تتابعت كعرف الفرس ٠

الثالث : أنهم الرسل بما يعرفون به من المعجزات ٠

والرابع : الملائكة والريح ٠

وفى العاصفات قولان : أحدهما : أنها الريح الشديدة الهبوب

والثانى : الملائكة تعصف بروح الكافر ٠

وفى الناشرات : خمسة أقوال ٠

---

(١) العين باب "القاف والراء والفاء"٠

(٢) لسان العرب "فرق"٠

(٣) لسان العرب "لقى"٠

(٤) لسان العرب "وقع" ٠

أحدهما : الريح تنشر السحاب، والثانى : الملائكة تنشر الكتب ،والثالث : الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد ، والرابع : البعث للقيامة تنشر فيه الأرواح،والخامس:المطر ينشر النبات ٠ وفى الفارقات : أربعة أقوال

أحدها : الملائكة تأتى بما يفرق بين الحق والباطل ٠

والثانى : آى القرآن فرقت بين الحلال والحرام ٠

والثالث : الريح تفرق بين السحاب فتبدده ٠

الرابع : الرسل ٠

وفى الملقيات ذكر قولان :

أحدهما : الملائكة تلقى ما حملت من الوحى إلى الأنبياء ٠

والثانى : الرسل يلقون ما أنزل عليهم إلى الأمم ٠

عذرا أو نزرا : خفيفا أو ثقيلا ٠ أى ارسلت بما بـه اعـذارا مـن الله وإنذارا ٠ ويجوز أن يكون المعنى : فالملقيات ذكرا للاعذار والإنذار ٠

وجواب القسم : وإنما توعدون لواقع : أى ما توعدون به من أمر الساعة والبعث والجزاء لواقع أى : كائن وذلك عندما يمحى نور النجوم وتشقق السماء وتنسف الجبال[1]٠

والمقسم عليه : المعاد والحياة الدائمة الباقية وحال السعداء والأشقياء[2]٠

التناسب بين ما أقسم الله به وما أقسم عليه :

وقوع يوم القيامة لحساب الناس كما يرون ويشاهدون ما تفعله الريـاح بالسحاب والنبات وما يرسله الله من أمره على يد ملائكته لرسله وما يرسله على

---

(١) تفسير زاد المسير ٨/١٧٦، ١٧٧ ٠

(٢) التبيان فى أقسام القرآن ١/٢٧٤ ٠

يد رسله لعباده كى يعتبروا ويتعظوا بما يشاهدون ويرون ويسمعون فإذا كان ذلك واقع لا محالة وهو على ما نراه خارج عن إرادة البشر .

وهو من عند الله القادر فيوم الحساب الذى أخبر به المولى على يد ملائكته ورسله واقع لا محاله والناس محاسبون على أعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

كما أن منظر الحياة الدنيا فيما يشاهد من أعاصير وأمطار وخراب على يد الريح الشديدة الهبوب السريعة المدمرة لمرآة صادقة على تحول هذه الدنيا إلى حياة أخرى وواقع آخر .

* قال تعالى : (وَالطُّور وكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ وَالْبَيْتِ المَعْمُورِ وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ المَسْجُورِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ) [الطور : ١ ــ ٨].

اللغة :

من خلال كتب التفسير :

الطور : اسم لكل جبل ، وفى هذه الآية المراد الجنس لا جبل معين.

كتاب مسطور : مكتوب على وجه الانتظام لأن السطر ترتيب للحروف المكتوبة، والمراد به ما يكتب فيه الأعمال ويعطاه العبد يوم القيامة بيمينه أو بشماله.وهو المذكور فى قوله تعالى : (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً) [الإسراء : ١٣].

الرق : جلد رقيق يكتب فيه، وأصله من اللمعان ترقرق الشىء إذا لمع أو من الرقة ضد الصفاقة .

المنشور : المبسوط، والوصف به للإشارة على صحة الكتاب وسلامته من الخطأ . حيث جعل معرضا لنظر كل ناظر آمنا عليه من الاعتراض ، لسلامته عما يوجبه[1].

---

(١) الألوسى ٤٢/٢٧ .

البيت المعمور : المكان المعمور المأهول المسكون، تحل الناس فى محل هو فيه، فعمارة الكعبة بالمجاورين عندها، وبحجاجها.

وقيل هو بيت فى السماء السابعة أو فى كل سماء بحذاء الكعبة يدخله الملائكة فى كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه مرة أخرى حتى قيام الساعة[١].

السقف المرفوع : السماء .

السجر : تهيج النار، ويقال : سجرت التنور ومنه البحر المسجور[٢]. وقيل المملوء ، وقيل الفارغ الذى نضب ماؤه، وقيل : المحبوس من أن يفيض فيغرق الأرض، أو يغيض فتبقى الأرض خالية منه وقيل المختلط ، والمسجور بمعنى الموقد وهو بحر الدنيا[٣].

وفى العلم الحديث :

وجد أن محيطات الأرض وعددا من بحارها يتسع قاعه بفعل التحرك بعيدا عن شبكة الصدوع الأرضية بفعل ما يندفع عبرها من ملايين الأطنان من حمم وطفوح بركانية فى درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية مما يجعل قيعانها مسجرة فعلا بدرجات حرارة عالية وهى ظاهرة من أعظم الظواهر الأرضية وأشدها غرابة ولم تعرف تلك الظاهرة بأبعادها الدقيقة إلا فى أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن الماضى[٤].

المناسبة بين ما أقسم الله به وما أقسم عليه :

أقسم الله عز وجل بأشياء ثابته راسخة مشاهدة عظيمة، دالة على قدرة الله جل وعلا، ألا وهى : الطور على ارتفاعه وشموخه ورسوخه وخلقه وما فيه

---

(١) تفسير الطبرى ٢١/٢٧، تفسير الألوسى ٤٣/٢٧ .

(٢) المفردات فى غريب القرآن "سجر" .

(٣) تفسير الألوسى ٤٣/٢٧ .

(٤) المفهوم العلمى للجبال فى القرآن الكريم د . زغلول النجار ص ١٨ مكتبة الشروق الدولية ط سادسة ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

من صفات، والسماء على علوها وارتفاعها واتساعها وبنائها بلا أعمدة مع تناسقها، ومع الخط المكتوب المسطور المنظم الذى يعبر به الإنسان على ما يختلج به أو أى شيء آخر، وتناسقه وتراصه وهذا أيضا من عظيم صنع الله لخلقه، والكعبة التى شرفها الله فى أنها قبله لرسوله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ واتباعه ينتظمون فيها للصلاة ، ويتجه إليها من ليس فيها من اتباعه فهى عامرة بمن فيها دائما، مع الحقيقة الكونية الأخرى، وهى من عجائب قدرة الله، حيث النار تحت الماء واجتماع الضدين وذلك من عظيم قدرته إذا كان كذلك فهو قادر على جمع الناس وإنزال العقاب بمن كفر بالله ورسله .

وهذا العذاب واقع بهم فى الآخرة ويؤيده قول جل وعلا بعد ذلك (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً وَتَسِيرُ الجِبَالُ سَيْراً فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) [الطور : ٩ ــ ١١].

فالربط هنا عجيب مخلوقات الله وصنعته مما يراه الناس وما لا يرونه ولا يقدرون له ولا يحسبون له أى حساب فهاك ما تراه من عظيم صنعة البارى فإذا كان هذا حال واقع مشاهد مرئى ، فلما لا تعملون للنجاة مما يحيط بكم ، ويوم لا ينفع نفس إيمانها لم تكن قد آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا هذا وجه .

والوجه الثانى :

الجبال وسيرها فى الآخرة .

السماء وتمورها وترددها وتحركها وتموجها فى الآخرة.

والصحف وهى تتطاير كل يأخذ كتابه يلقاه منشورا واضحا يقرأ فيه كل أعماله خيرا وشرا فى الآخرة .

التشابه بين زحمة الكعبة وحجاج بيت الله الكرام وما هم عليه من هيئة، والناس فى الآخرة وهيئتهم وزحمتهم.

وما أعد الله للكفرة الفسقة من عذاب فى نار جهنم، ومـــا فـــى البحـــار والمحيطات من براكين وحمم تشبه فى هلاكها وعذابها للناس فى الدنيا ما يكون عليه العصاة فى نار جهنم فى الآخرة.

إن كل ما أقسم الله به فى الدنيا واقع ومشاهد فى حين سوف نرى فـــى الآخرة ما أعده الله كذلك فهو إذن واقع لا محاله وفيه من الشبه مما أخبرنـــا الله به ما نراه واقعا ملموسا فى حياتنا الدنيا.

ووجه آخر للربط بين المقسم به والمقسم عليه :

السماء وعلوها والجبال وارتفاعها ووقوع العذاب بشدة على الكفرة كأنه نازل بهم من علو وارتفاع مع تطاير الصحف فهذا يدل على شدته.

وكذا ما يخرج من الحمم والبراكين وإن كان من باطن الأرض إلا أنـــه يتطاير ويخرج من فوهه البراكين وينزل من علو وارتفاع وكذلك رفـــع شـــأن العابدين فى الدنيا والآخرة فهو من العلو والارتفاع بمكان .

طور : أصل يدل على الامتداد فى شيء من مكان أو زمان والطور : جبل فيجوز أن يكون اسما علما موضوعا، ويجوز أن يكون سمى بذلك لما فيه من امتداد طولا وعرضا ومن الباب قولهم : فعل ذلك طورا بعد طور، فهذا من الزمان، كأنه فعله مدة بعد مدة[٢].

سنين واحدتها : سنة، والسنة العام وطور سنين سيناء جبل بالشام، والسنينية : شجرة، وقيل السنين واحدتها سنينية وقرئ طور سيناء سيناء بالفتح والكسر[٣]. وقيل سينين: اسم جبل بالشام[٤].

المعنى :

أقسم الله بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة، التى هى مظاهر انبيائه ورسله وأصحاب الشرائع العظام والأمم الكثيرة .

فالتين والزيتون، المراد بهما نفس الشجرتين المعروفتين. ومنبتهما وهو أرض بيته المقدس فإنها أكثر البقاع زيتونا وتينا[٥]والبلد الأمين الذى يأمن فيه كل شيء من إنسان وطير وغيرها.

وأولى الأقوال بالصواب فى تفسير جواب القسم لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم فى أحسن صورة وأعدلها، لأن قوله أحسن تقويم إنما هو نعت لمحذوف وهو فى تقويم أحسن تقويم[٦].

المطابقة بين المقسم به والمقسم عليه :

إنه سبحانه أقسم بهذين النوعين من الثمار، لمكان العزة فيهما فإن التين، فاكهة مخلصة من الشوائب التى تنغص، إذ لا عجم له وهو على مقدار اللقمة[١].

---

(١) اللسان : زيت .

(٢) مقاييس اللغة : طور .

(٣) لسان العرب سين .

(٤) تهذيب اللغة باب السين والنون .

(٥) التبيان فى أقسام القرآن ١١٠/١ .

(٦) الطبرى ١٥٦/٢٩ .

ويربط سيد قطب فى الظلال بقوله : وطور سيناء الذى نودى موسى عليه السلام من جانبه، والبلد الأمين هو مكة بيت الله الحرام وعلاقتها بأمر الدين والإيمان واضحة(٢).

كما يظهر الترابط واضحا فيما يلى :

١ – التناسب بين خلق الإنسان فى أحسن صورة والتين والزيتون كذلك.

٢ – التناسب بين الإنسان والتين والزيتون فى المنافع التى تعود على الإنسان من هاتين الثمرتين وشجرتيهما مع تعدد المنافع.

٣ – اختلاف خلق ثمرة شجرة التين عن أى ثمرة أخرى كالإنسان الذى ميزه الله عن سائر المخلوقات وكذا شجرة الزيتون حيث تنبت بالدهن وصبغ للأكلين وهى فى صحراء بعيدة عن الدهن وغيره .

٤ – الربط الإيمانى بين مكة والطور والإنسان فى أحسن تقويم فى كل جوانب الحياة سواء أكانت روحية أم بدنية .

٥ – الأمن والأمان الذى يحصل لمن يكون فى مكة، وبين الأمن والأمان الذى يحوط بالمؤمن عندما يكون فى معية ربه طائعا وكذا الأمن والأمان الذى

---

(١) وقيل التين فاكهة وقوت وغذاء، وأدم، ويدخل فى الأدوية ومزاجه من أعدل الأمزجة وطبعة طبع الحياة الحرارة والرطوبة، وشكله من أحسن الأشكال ، ويدخل أكله والنظر إليه من باب المفرحات، وله لذة يمتاز بها عن سار الفواكة ويزيد فى القوة، ويوافق الباءة وينفع من البواسير والنقرس ويؤكل رطبا ويابسا.

انظر : التبيان فى أقسام القرآن ١/١١٠، ١١١ .

وقيل : من خواص التين أنه غذاء، وفاكهة لأنه طعام لطيف سريع الهضم ملين الطبع ويخرج بطريق الرشح، ويقلل البلغم ، ويطهر الكليتين ، والطحال.

وروى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ــ طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابة كلوا فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه، فإنه يقطع البواسير، وينفع من النقرس.

انظر : هامش تفسير الطبرى ج ١١٩/٢٩ .

(٢) انظر : الظلال ٣٩٣٢/٦ .

حدث لموسى فى جبل الطور بعد تكليم الله له وبداية الدعوة وتثبيت الله له بمساعدة هارون حيث قال رب العزة : (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى)[طه : ٣٦] .

٦ – والفارق واضح بين ما أقسم الله به هنا مع البلد الأمين "مكة" وجواب القسم المناسب وهو خلق الإنسان فى أحسن تقويم وبين سورة البلد فى التماثل والتناسق مع المقسم به وجواب القسم "لقد خلقنا الإنسان فى كبد" فالقسم بمكة التى كابد وعانى فيها، والقسم بمكة البلد الأمين الأمن والأمان الذى يعود على المؤمن فيها أو غيره حتى من قبل دعوة محمد صلى الله عليه وسلم.

* قال تعالى : (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)[الطارق : ١ــ٤].

اللغة :

السمو : الارتفاع والعلو، تقول سموت ، وسميت، والسماء: سقف كل شيء ، وكل بيت،

وسما الشيء يسمو سموا فهو سام ارتفع. وإذا رفعت بصرك إلى الشيء قلت سما إليه بصرى، وإذا رفع لك الشيء من بعيد فاستبنته قلت قد سما لى شيء.

وكل سقف : سماء ومن هذا القبيل قيل للسحاب : سماء لأنها عالية . وكذا قيل للمطر سماء. ويسمى العشب أيضا سماء، لأنه يكون من السماء الذى هو المطر.

والسماء : ظهر الفرس لعلوه، وسماء النعل: أعلاه التى تقع عليها القدم(١).

والسماء فى هذه الآية تعنى : السماء الدنيا أى الأولى التى زينها الله بالكواكب والنجوم بما فيها الأرض .

---

(١) اللسان "سما".

الطارق : الطرق : الضرب بالعصا، وسرعة المشى أيضا ٠ وتطارق الشيء : تتابع، وأطرقت الإبل أطراقا وتطارقت تبع بعضها بعضا وجاءت على خف واحد[١].

الطارق هو فى الأصل اسم فاعل بمعنى الضرب بوقع وشدة يسمع لها صوت ومنه المطرقة والطريق لأن السابلة يطرقها ثم صار فى عرف اللغة اسما لسالك الطريق لتصور أنه يطرقها بقدمه واشتهر فيه حتى صار حقيقة، ثم اختص بالآتى ليلا لأنه فى الأكثر يجد الأبواب موصدة فيطرقها ثم اتسع فى كل ما يظهر بالليل كائنا ما كان حتى الصور الخيالية البادية[٢].

الثقب : الخرق النافذ، وقيل الكوكب الثاقب : المضيء٠وقيل : الثاقب الذى ارتفع على النجوم، والعرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء : فقد ثقب[٣]، والثاقب فى الأصل الخارق، ثم صار بمعنى المضيء لتصور أنه يثقب الظلام، وقد يخص بالنجوم والشهب لذلك، والمراد بالنجم: الجنس[٤].

المعنى :

والسماء والطارق : قسمان والطارق : النجم الثاقب، فالنجم اسم جنس سمى به بذلك لأنه يطرق ليلا ومنه الحديث : نهى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يطرق المسافر أهله ليلا، كى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة٠ والعرب تسمى كل قاصد ليلا طارقا[٥].

---

(١)اللسان "طرق"

(٢) تفسير الألوسى ١٧٠/٢٩ ٠

(٣) اللسان : ثقب ٠

(٤) تفسير الألوسى ١٧٠/٢٩ ٠

(٥) تفسير القرطبى ١/٢٠، ٢ ٠

وقد قدر عدد النجوم النيترونية فى مجرتنا بمائة الف نجم، ومن الطبيعى أن تحتوى بلايين المجرات الأخرى على مئات الألوف من النجوم النيترونية الطارقة الثاقبة ، فالسماء إذن تمتلئ به[1].

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه :

بعد أن أخبر المولى سبحانه وتعالى عن النجم، وأقسم به، يعود بنا إلى النفس البشرية ويذكرنا بالحافظ الذى وكله الحفيظ الرقيب على كل نفس يحصى ما لها وما عليها حتى نبضها فالتشابه بين الحافظ الذى يحصى كل صغيرة وكبيرة فى دقة متناهية وبين الطارق الذى تطوى دقاته أقطار السماء لتصل إلينا فى دقة متناهية[2].

وأقول : إن التشابه حاصل أيضا بين السماء التى تدور النجوم الثاقبة الطارقة فى فلكها لا تحيد عنه فى جو السماء الأعلى دون أن تخرج عن مدارها متتابعة، ورغم أنها ثاقبة لكل شىء فإن الله حفظ غيرها منها الشمس ، الكواكب، سطح السماء وغيرها كما أن الله حافظ كل نفس إن كل نفس إلا عليها حافظ يحفظها مما يؤذيها من حولها مما لا يقدره المولى .

فكما أن الله حفظ هذه النجوم بالسماء وبمدارها الذى تسير فيه وحفظ غيرها منها فكذا جعل الله على كل نفس حافظ يحفظها ويحفظ غيرها من شرها قال تعالى : (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)[الرعد :١١].

فالله حافظ للنجوم وغيرها من خطرها وكذلك الإنسان فقد حفظه الله مما يضر به أو يضر بغيره إلا مما قدر سبحانه وتعالى إذا قضى فلا راد لقضائه .

---

(١) انظر : آيات قرآنية فى مشكاة العلم د/يحيى المحجرى من مقال له على النت .

(٢) انظر : آيات قرآنية فى مشكاة العلم د/ يحيى المحجرى .

* قال تعالى : (لا أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ)[البلد : ١ ــ ٤].

اللغة :

حل بالمكان يحل حلولا ومحلا وحلا وحللا بفك التضعيف نادر ، وذلك نزول القوم بمحلة وهو نقيض الارتحال(١).

كبد : الكبد : الشدة والمشقة أى يعالج ويكابد أمر الدنيا والآخرة وكابد الأمر مكابدة قاساه(٢).

المعنى :

أقسم الله سبحانه بالبلد الحرام أعنى مكه فإنه المراد بالمشار إليه بالإجماع وما عطف عليه على الإنسان خلق مغمور فى مكابده المشاق ومعاناة الشدائد(٣).

ذكرت أقوال كثيرة فى معنى وأنت حل بهذا البلد منها وأنت مقيم فيه وهو محلك(٤).

والمراد بالوالد وما ولد قيل : آدم وولده، وقيل كل والد وولده، وقيل : إبراهيم وولده(٥) ويقول القرطبى : وعندى عامة فى كل والد وكل مولود(٦).

وأنت حل بهذا البلد فيه قولان : إنه من الإحلال وهو ضد الإحرام.

والثانى : أنه من الحلول وهو ضد الظعن وفيه قول ثالث: وأنت مستحل قتلك وإخراجك من هذا البلد الأمين الذى يأمن فيه الطير والوحش والجانى(١).

---

(١) لسان العرب "حل".

(٢) لسان العرب " كبد" .

(٣) الألوسى ٢٣/٢٩ .

(٤) القرطبى ٦/٢٠ .

(٥) الألوسى ٢٤٠/٢٩ .

(٦) القرطبى٦١/٢٠ .

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه :

أقسم الله بمكة حالة وجود النبىَ ــ صلى الله عليه وسلم ، فيهـا وهـو يكابد ويعانى مر الدعوة وما لاقاه هو وصحبه من الصدود والشدائد والمكابدة ما لاقى وكذلك الوالد والولد يعانى كل منهما من المشاق فى التربية وغيرها ودعوة الرسول لأهله كأنه أب وهم أبناء له وخوف الأب على الأبناء ، والإنسان عامة خلقه الله فى مشقة دائمة وتعب فى تحصيل أمر المعيشة للدنيا والعمل للآخرة .

فكان ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم على ما يلاقى أو يعانى فهـو أمر طبيعى أن يعانى ويكابد لأن الله خلق الإنسان وعلى هذه المعاناة والمكابـدة والمشاق وفى النهاية يكون أمره إلى الله عز وجل يحاسبه على أعماله وما كان منه .

* قال تعالى : (وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)[العصر : ١ ــ ٣].

اللغة :

العصر : العين والصاد والراء، أصول ثلاثة صحيحة.

الأول : الدهر والحين، والثانى : ضغط شىء حتى ينحلب، والثالـث : تعلق بشىء وامساك به[٢].ويقال : جاءنى فلان عصرا، أى بطيئا[٣].

خسر : خسرا وخسرا وخسرانا، وخسارة وخسارا فهو خاسر وخسر كله : ضل والخسار والخسارة والخيسرى الضلال والهلاك. وقيل : مـن لقـى عقوبة بدنية[٤].

والخسران انتقاص رأس المال وما ينسب ذلك إلى الإنسان فيقال خسـر فلان وإلى الفعل فيقل خسرت تجارته.ويستعمل فى المقتنيات الخارجية كالمـال

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن ٩٩/١ ــ ١٠٠ .

(٢) مقاييس اللغة "عصر".

(٣) الصحاح . باب الراء فصل العين.

(٤) اللسان "خسر".

والجاه فى الدنيا وهو الأكثر وفى المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب[١].

المعنى :

أقسم الله بالدهر، وقيل هى صلاة العصر وهى الوسطى، وقيل أقسم الله بآخر النهار على أن الإنسان لفى نقصان وسوء الحال إلا إذا كان من المؤمنين فى مدة عمرة وفى التواصى بالحق والصبر والعمل بحسب الوصاة فإنه لا خسر معه ولا نقصان وقد جمع الخير كله[٢].

قيل : فى خسران فى متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم فى مباغيهم التى لا ينتفعون بها فى الآخرة بل ربما تضرهم إذا حلوا الساهرة .. والتنكير فى كلمة خسر للتعظيم أى فى خسر عظيم ويجوز أن يكون للتنويع أى نوع من الخسر غير ما يعرفه الإنسان[٣].

أقسم الله بالعصر الذى هو زمان أفعال الإنسان ومحلها، على عاقبة تلك الأفعال وجزائها

ونبه بالمبدأ وهو : خلق الزمان، والفاعلين وأفعالهم على المعاد وكمال قدرته كما لم تقصر عن المبدأ ، لم تقصر عن الميعاد.

وإن حكمته التى اقتضت خلق الزمان، وخلق الفاعلين وأفعالهم وجعلها قسمين خيرا وشرا، تأبى أن يسوى بينهم، وأن لا يجارى المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته، وأن يجعل النوعين رابحين، أو خاسرين.

بل الإنسان من حيث هو إنسان خاسر، إلا من رحمه الله، فهداه ووفقه للإيمان، والعمل الصالح فى نفسه، وأمر غيره به[٤].

---

(١) المفردات فى غريب القرآن "خسر" .

(٢) تفسير الثعالبى ٤/٤٤٠ .

(٣) تفسير الألوسى ٢٩/٢٣٦ .

(٤) التبيان فى أقسام القرآن ١/١٧٨، ١٧٩ .

وجه التطابق والتناسب بين المقسم به والمقسم عليه :

وهو أن ذلك الوقت المتبقى من النهار الذى هو على وشك الانقضاء والانتهاء والذى فيه صلاة العصر والتى لو تركها المسلم فقد حبط عمله لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما معناه : " من ترك صلاة العصر فقط حبط عمله" أى خسرة فالإنسان كذلك فى خسران إلا إذا استدرك ما فاته ولحق نفسه وتحصن بالإيمان والعمل الصالح ودعوة الاخرين إلى الحق والصبر ٠ فإنه يصير إلى نهايته الحتمية وهى الخسران المبين إذ يتساوى مع خسران من لم يصل العصر فى كل ما يعمل فهناك مقابلة وتناسب بين سير النهار وانقضائه وعدم قبوله فى أن الإيمان والعمل الصالح والدعوة إلى الخير والصلاح سبب فى نجاه المؤمن ٠

* قال تعالى : (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) [الشمس : ١ ــ ١٠]٠

اللغة :

ضحا : الضحو والضخوة : ارتفاع النهار ، والضحاء : امتداد النهار، والضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا، وقيل : إذا علت الشمس إلى ربع السماء فما بعده[١]٠

تلوته تلوا : تبعته، وتتالت الأمور : تلا بعضها بعضا، والمعنى : تلاها حين استدار فتلا الشمس الضياء والنور[٢]٠

جلا الأمر وجلاه وجلى عنه : كشفه وأظهره ٠ وجلى الشىء : إذا كشفه وجلاها بين الشمس لأنها تتبين إذا انبسط النهار[١]٠

---

(١) لسان العرب "ضحا"٠

(٢) لسان العرب " تلو"٠

والغشاء : الغطاء ، غشيت الشيء إذا غطيته[٢].

طحاه طحوا وطحوا : بسطه والطحو : كالدحو، وهو البسط وقيل طحاها ودحاها واحد، فمن دحاها ،ابدلت الطاء من الدال، ودحاها وسعها، وطحوته مثل دحوته أى بسطته[٣].

الاستواء : فعل لازم من قولك سويته فاستوى ، واستوى الرجل بلغ أشده ، وقيل : بلغ أربعين سنه، والمستوى فى كلام العرب الذى بلغ الغاية فى شبابه وتمام خلقه وعقله[٤].

فجر الإنسان يفجر فجرا وفجورا : انبعث فى المعاصى، فجر فجورا: فسق وفجر، وفجر إذا كذب ، وأصله الميل والفاجر : المائل، وغالبا ما لا يكون الانفجار فى استقامة أو على خط مستقيم بل يميل فى اتجاهات كثيرة[٥].

وقاه الله وقاية وواقية : صانه، ووقيت الشيء إذا صنته وسترته عن الأذى والتوقية : الكلاءة والحفظ، واتقى يتقى، كان الأصل: أو تقى على افتعل فقلبت الواو ياء لانكسارها ما قبلها وابدلت منها التاء وادغمت فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء من نفس الحرف فجعلوه اتقى يتقى[٦].

زكا يزكو زكاء وزكوا : نمى ، وأصل الزكاة فى اللغة: الطهارة والنماء والبركة والمدح وقيل الزيادة[٧].

---

(١) اللسان "جلا".
(٢) اللسان "غشى".
(٣) اللسان : صحا .
(٤) اللسان : سوى .
(٥) اللسان : فجر .
(٦) اللسان : وقى .
(٧) اللسان "زكا ".

الدس : ادخال الشيء من تحته، دسه يدسه دسا فاندس دسا: إذا أدخله فى الشيء بقهر وقوة .

والمعنى فى الآية خاب من دس نفسه فى أهل الخير وليس منهم، قيل : دساها " جعلها دسيسه قليلة بالعمل الخبيث وترك الصدقة والطاعة .

ودسست الشيء فى التراب أى أخفيته فيه، من ذلك قوله تعالى : (أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ)[النحل:٥٩]. أى يدفنه[١].

والمعنى فى كتب التفسير :

أقسم الله بالشمس وأعقبه بالقسم الثانى : وهو ضوؤها وإشراقها، لأن الضحى يكون بارتفاع الشمس، والقسم الثالث : أقسم بالقمر يتبع الشمس ، والمراد تبعها فى الأضاءة بأن طلع وظهر مضيئا عند غروبها، آخذا من نورها[٢].

والنهار إذا جلاها : أى ظهر للرائين، وذلك عند ارتفاع النهار وانبساطه، وذلك لأن الشمس تتجلى فى ذلك الوقت تمام الانجلاء[٣].

والليل إذا يغشاها : أى يستر الشمس فتظلم الأفاق[٤].

والأرض وما طحاها : أى بسطها من كل جانب وطحاها كدحاها، ويكون صحا بمعنى ذهب، وبمعنى أشرف وارتفع .

ونفس وما سواها : أى أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالها وقيل التنكير للتكثير، وذهب العلماء أن ما فى الثلاثة مصدرية أى وبنائها وطحوها وتسويتها،

---

(١) اللسان "دس".

(٢) تفسير الألوسى ٢٥٣/٢٩ .

(٣) تفسير النسفى ٣٦٠/٤ .

(٤) تفسير النفسى ٣٦٠/٤ .

والتسوية : تعديل الاعضاء والقوى ومنها المفكرة، والإلهام، اى عبارة عن بيان كيفية استعمالها فى النجدين فى هذا المحل[1].

قد أفلح من زكاها : أى نماها بالعلم والعمل وهو جواب القسم وحذف اللام للطول كأنه أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه أقسم بما يدلهم على العلم بموجود الصانع ذاته وكمال صفاته[2].

لقد فاز بكل مطلوب ، ونجا من كل مكروه من أنمى نفسه وأعلاها وشرفها بالتقوى علما وعملا، ولقد خسر وخاب من نقصها وأخفاها بالفجور جهلا وفسوقا وجورا[3].

والمعنى فى كتب العلم الحديث :

بعد أن أقسم الحق سبحانه بالشمس وضحاها وبالقمر يتلوها فى الظهور ليلا، أقسم بالنهار وهو يجليها لنا، وبالليل إذا هو يغشاها. ولكن الحق تبارك وتعالى لم يقل كما يتوقع المرء، بأن الشمس هى السبب فى حدوث النهار أو تجليته، إذ هى تضىء لنا بضوئها الأشياء فتجليها بل بين لنا المولى أن النهار هو الذى يجلى لنا الشمس وليس العكس فمجئ النهار الذى يبدى لنا ضوء الشمس ويجليها ويحدث ذلك بسبب دوران الأرض حول الشمس وكذلك ايضا سبب حدوث الليل فى وجهة الأرض البعيدة عن الشمس إذا يخفى ضوء الشمس بسبب دوران الأرض حول نفسها أيضا .

فالشمس لا يخبو ضوؤها فى أثناء الليل ليعود عند النهار بل إن الأمر فى حقيقته هو أن هناك غشى وتجلية على التوالى لضوء سرمدى ما دامت الشمس[4]. وما دام الكون، وقيل إن فى سورة الشمس قسم لم نجد له نظير فى

---

(١) تفسير الألوسى ٢٥٦/٢٩ .

(٢) تفسير البيضاوى ٧٤٢ .

(٣) الألوسى ٢٥٨/٢٩ .

(٤) اسرار الكون فى القرآن ٢٦٤ : ٢٦٥ .

كتاب الله تعالى لأنه سبحانه قد أقسم بأحد عشر قسما متواليا كل ذلك ليبين أن خيار التقوى والفجور بيد الإنسان نفسه[1].

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه :

هو أن الله خلق هذه الكائنات والنفس البشرية على الطاعة الكاملة التامة لأمر الله عز وجل وأضاف للنفس البشرية مزية أخرى، أن وضع لها اختيار فى أن تسير على ما سارت عليه المخلوقات الأخرى أو اتباع النفس والهوى والشيطان ومن غمط الحق الواضح البين وإظهار المخالفة فانظر إلى الكون وما أقسم به الشمس وضحاها ، والقمر يتلوها فى استمرارية وطواعية الأهية والنهار يظهر لنا الشمس ، والليل يغطى لنا بظلمته الشمس وضوءها فكل فى فلك يسبحون .

قال تعالى : (لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [يس : ٤٠].

فى طاعة دائمة لله، وكذا السماء وبناؤها المحكم والأرض وانبساطها ودورانها حول الشمس وحول نفسها فى نظام بديع دون أن تخالف أمر ربها فقد جبلت هذه المخلوقات على طاعة الله الدائمة دون كلل أو ملل .

وخلق الله الإنسان وألهمه الطريق الحق كما بين للمخلوقات الأخرى والذى لو اتبع الانسان منهج الله وشرعه ما اختل نظام الحياة بل لدامت السعادة ما دامت الطاعة وبين له الطريق الآخر المخالف لأمر الله عز وجل وهو الفسوق والخروج عن الحق. فهو المختار من بين المخلوقات وسوف يحاسب على اختياره إن كان حسن فحسن وإن كان شر فشر .

وتلاحظ أيضا المقابلة الواضحة فيما أقسم الله به وكذا فيما أقسم عليه، فالشمس وضحاها يليها القمر ولا تخفى المقابلة بين الشمس والقمر [نور الشمس

---

(١) اسرار الكون فى القرآن ٣٥٦ .

وضوء القمر] وبين تجلية النهار للشمس وما سبقه من الليل وضياء القمر، وما بعده من الليل الذى يغشى وتغطى ظلمته نور الشمس فالنهار يجليها والليل يغطيها، وما بين السماء والأرض من مقابلة وبناء السماء وانبساط الأرض، وكذا المقابلة بين الفجور والتقوى للنفس البشرية المعقدة رغم أن الله يقول فى موقف آخر (لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)[غافر:٥٧].

هذا إذا كان جواب القسم قوله تعالى : (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)، أما إذا كان التقدير ليدمدمن أو لتعذبن فتكون المناسبة فى أن الله عز وجل سوف يهلك هذه المخلوقات ويبدلها ويغيرها كما قال تعالى : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ)[ابراهيم:٤٨].

فالهلاك واقع والدمار واقع بكل شىء كما قال تعالى : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ)[القصص:٨٨] .

وكذلك عذاب الله واقع لا حاله بالعصاه المعاندين الكافرين المخالفين لرسوله صلى الله عليه وسلم كما وقع للأمم السابقة كما ذكر المولى فى بقية السورة عن إهلاكه لثمود قوم هود.

ولكن المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فى الثنائية التقابلية تجعلنا نختار الرأى الذى يجعل قوله : (قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) هو جواب القسم .

* قال تعالى : (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)[العاديات : ١ ــ ٦].

اللغة :

العدو : الحضر ، يقال : عد الرجل والفرس وغيره يعدو عدوا وعدوا وعدوانا وتعداء.

ويقال : للخيل المغيرة عادية . وقيل : المراد بالعاديات الخيل وقيل : الإبل[١].

ضبح : الخيل كمنع ضبحا وضباحا أسمعت من أفواههما صوتا ليس بصهيل ولا حمحمة أو عدت دون التقريب[٢].

وورى يرى ، ويورى وريا ووريا ورية، وهو وار وورى : اتقد.وورى الزند : خرجت ناره[٣].الورى : قيح فى الجوف أو قرح شديد يقاء منه القيح والدم.ورى القيح جوفه كوعى : أفسده، وورى فلان فلانا : أصاب رئته، وورى النار وريا ورية : اتقدت، والإبل سمنت وكثر شحمها[٤].

قدح : القدح : قدحك بالزند، وبالقداح ليورى والقدحة : اسم مشتق من اقتداح النار بالزند[٥].

المغيرات : غور أصلان صحيحان أحدهما خفوض فى شيء وانحطاط وتضامر، والأصل الآخر : إقدام على أخذ مال قهرا أو حربا، ومن الثانى أغار بنو فلان على بنى فلان غارة وإغارة[٦].

كنود : كندا : أصل يدل على القطع ، يقال : كند الحبل يكنده كندا، والكنود : الكفور للنعمة؛ لأنه يكند الشكر أى يقطعه، ومنه الأرض الكنود وهى التى لا تنبت[٧].

المعنى :

أقسم الله بالخيل التى تعدو وهى تحمحم، وقيل الأبل، فالخيل فى القتال عندما تجرى تضبح وكذلك تقدح بحوافرها حتى يخرج منها النار فهى تنسف

---

(١) لسان العرب "عدو".

(٢) القاموس المحيط "ضبح".

(٣) لسان العرب "ورى".

(٤) القاموس المحيط "ورى".

(٥) تهذيب اللغة "قدح" .

(٦) تهذيب اللغة "غور".

(٧) مقاييس اللغة : "كند".

الحصى بمناسمها ، فضرب الحصى بعضه بعضا يخرج منه النار، وقيل إن أولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن الله تعالى أقسم بالموريات التى تورى النيران قدحا فالخيل تورى بحوافرها، والناس يورونها بالزند، واللسان مثلا يورى بالمنطق، والرجال يورون بالمكر مثلا، وكذلك الخيل تهيج بين أهلها إذا التقت فى الحرب فلم يضع الله دلالة على المراد من ذلك لأن كل ما أورت النار قدحا داخل فيما أقسم الله به لعموم ذلك بالظاهر .

إن الإنسان لربه لكنود أن كفور لنعم ربه وقيل لوام ربه بعد المصائب. عن أمامة[1]، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " إن الإنسان لربه لكنود قال : لكفور الذى يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده[2].

المناسبة بين ما أقسم الله به وما أقسم عليه :

نعم الله كثيرة جدا منها ما فى الخيل من الإغارة والحماية، ينتصرون بها على عدوهم، أو الإبل التى تحمل الأثقال، والخيل تضرب بحوافرها الأرض الصلبة فتوقد نارا حقيقية أو معنوية تحرق بها قلوب الأعداء بالهزيمة والإنكسار فهى نعمة على المغيرين فتحا أو غير ذلك على حسب ما فى قلوبهم كما قال تعالى : (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) بما فى قلوبهم وضمائرهم وما أوقدوا من نار بسيوفهم أو ألسنتهم إذا فالآيات تتحدث عن الحرب والاغارة كل على حسب نيته فهى من المكاسب والنعم جعلها الله أداة للحرب فهى نعمة كبيرة وسبب من أسباب النصر على الاعداء .

فى خضم ذلك نجد الانسان كفور لنعم الله عليه شهيد على نفسه بمنع ماله عن المحتاجين، ألم يعلم أن الذى اعطاه هذا المال قادر على سلبه منه، وهى تدل على أن القتال وإن كان صعبا وفيه كراهية فهو نعمة من نعم الله بما فيها من مكاسب . على الجميع سواء على الفاتحين للبلاد لنشر الإسلام أو أهل تلك البلاد لأنه سوف يعم بعد ذلك عليهم بالأمن والاستقرار والاسلام.

---

(١) الأدب المفرد للبخارى الحديث رقم ١٦٠ .

(٢) الطبرى ٣٠/٣٤٥ ، ٣٥٤ .

وقد قال تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) [البقرة : ٢١٦].

* قال تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) (الليل : ١ ــ ٤].

اللغة :

يغشى : الغشاء الغطاء ، غشيت الشيء تغشية إذا غطيته[١].

تجلى : جلا الأمر ، وجلاه وجلى عنه كشفه وأظهره وقد انجلى وتجلى . وجلى الشيء: كشفه، وتجلى الشيء : تكشف[٢].

الشت : الافتراق والتفريق[٣].

المعنى :

أقسم الله تعالى بالليل إذا غشى الأرض مع جميع ما فيها وبالنهار إذا ظهر وضوى الآفاق ومفعول يغشى محذوف فيحتمل أن يكون النهار أو الأرض وما فيها .

وما خلق الذكر والانثى : يحتمل أن يكون ما بمعنى الذى ويحتمل أن تكون مصدرية، والذكر والأنثى هنا عام وقيل آدم وحواء.

والسعى : العمل فأخبر تعالى مقسما أن أعمال العباد متفرقة جدا بعضها فى رضى الله وبعضها فى سخطه[٤].

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه :

وقد أقسم الله بزمان السعى وهو الليل والنهار، وبالساعى وهو الذكر والأنثى، على اختلاف السعى كما اختلف الليل والنهار، والذكر والأنثى.

---

(١) اللسان " غشى".

(٢) اللسان " جلا".

(٣) اللسان "شت" .

(٤) تفسير الثعالبى المسمى بجواهر الحسان لعبد الرحمن الثعالبى دار الكتب العلمية ــ الجزء الثالث .

وسعيه وزمانه مختلف وذلك دليل على اختلاف جزائه ثوابا أو عقاب وأنه جل وعلا لا يسوى بين من اختلف سعيه فى الجزاء كما لم يسوى بين الليل والنهار والذكر والانثى[١].

فالاختلاف والفرقه فى الليل والنهار، والذكر والانثى وسعى المؤمن وسعى الكافر.

فالظلمة الحالكة يقابلها عمل الكافر، أو العاصى ، والنهار يقابله عمل المؤمن .

واستمرارية الحياة مع الاختلاف والتناقض.

* قال تعالى : (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)[الحجر : ٧٢].

اللغة :

العمه : التردد فى الأمر والتحير[٢].

السكر : حالة تعرض بين المرء وعقله وأكثر ما يستعمل ذلك فى الشراب، وقد يعترى الانسان من الغضب والعشق [٣].

المعنى :

يقسم المولى عز وجل بحياة لوط عليه السلام أن قومه لفى غوايتهم التى أذهبت عقولهم فى عدم تمييزهم بين الخطأ الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات فهم يتحيرون فكيف يقبلون قولك و معون نصحك وقيل الخطاب لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو قسم بحياته وتعظيم له[٤].

ولم يوافق الزمخشرى على ذلك فصرف القسم إلى أنه بحياة لوط وأنه من قول الملائكة، فقال: هو على إرادة القول، أى قالت الملائكة للوط عليه

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن ١٣١/١ .

(٢) المفردات فى غريب القرآن "عمه" .

(٣) المفردات فقى غريب القرآن "سكر".

(٤) تفسير النسفى ٢٧٦/٢ .

السلام لعمرك أنهم لفى سكرتهم يعمهون ٠ وليس فى اللفظ ما يدل على واحد من الأمرين بل الظاهر ٠ إنما يدل على ما فهمه السلف أنه قسم بحياة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا من أعظم فضائله[1].

المطابقة بين المقسم به والمقسم عليه :

إذا كان المراد حياة محمد صلى الله عليه وسلم أم حياة لوط عليه السلام فإن حياة الأنبياء فيها من العناء والشقاء والاجهاد ما فيها بسبب دعوة أقوامهم وما يعانون من عذابات وإن كان الله يهون عليهم ذلك لإيمانهم بما يدعون وبما تحلوا به من الأناة والصبر والتواضع والتحمل فى سبيل دعوتهم وحسبان ذلك عند الله عز وجل ٠

إذا كان كذلك فإن حياة من يدعون من الضلالة والتردد وعدم التبصر وعدم الأناه والتحمل وعدم العلم والمعرفة والجهل ما يتقابل مع حياة الأنبياء مع الفارق إذ ما ينغص الحياة عند الأنبياء لهم فى ذلك أجر وصواب ٠

والعكس صحيح عند من يدعون فإن ما هم فيه من الضلال والعذابات لجدير أن يتقابل مع من غاب عنه وعيه وفقد صوابه فيلاقى ما يلاقى من عذاب فى الدنيا وما ينتظره فى الآخرة

فالمقابلة بين حياة الأنبياء ومن يعارضونهم مع فارق العلم والجهل — المعرفة والضلال لمشقة التى تصاحبها لذة طاعة الله والمشقة والعذاب الذى يلاقيه أهل الكفر والضلال مع انتظار الثواب للأنبياء والعقاب للمعرضين ٠

وإن كنت أرى أن الآية المراد بها حياة لوط عليه السلام لأن حياة لوط الاجتماعية من عصيان زوجته له فى عدم اتباع دعوته ، وعصيانها له ودخولها فيما دخل فيه قومها يتناسب مع سكرتهم وعمههم وعدم اهتدائهم إلى الصواب والتردد فى أمرهم وتحيرهم وغياب عقلهم عن تلمس الحق ومعرفته والاهتداء إليه٠

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن ٣١٦/٢ ٠

الخاتمة

١ – تعدد المقسم به بين ما يراه الانسان وبين ما هو غيبى والغيبى ما هو مشاهد لكنه لم يكن فى حكم المشاهد قبل ولكن العلم الحديث اكتشف هذه الأشياء التى أقسم الله بها فى القرآن الكريم حديثا من ذلك مواقع النجوم وسرعتها ، صفات النجوم من طرق وثقب وكنس وحالة البحر، وهو مسجور، وتصدع الأرض وخروج البراكين ومجئ المقسم عليه متعدد كذلك ليتناسب مع ما أقسم الله به ويتبين لنا ما يلى :

أ – شمولية القرآن ، قال تعالى : (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ)[الانعام:٣٨].

ب – القرآن الكريم كتاب دين ودنيا دين لذكره الشرائع ودينا لذكره فى معظم ما أقسم به مشاهد كونية.

ج – يحث على العلم والتعلم ويبين قيمة العلماء بما فى القسم من مشاهد علمية داعيا من توصل إلى هذه المشاهد ومعرفة حقيقتها للإيمان بها والسجود لعظمه الله ، وذلك لأن أكثر الذين يخشون الله دون غيرهم العلماء ، (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ)[فاطر :٢٨] .

د – دعوة الناس إلى الإيمان بما يرون من ذكر القرآن لما هو جديد مكتشف حديثا وخاصة ما توصل إليه العلم الحديث واقسم الله به من اعمال العقل والفكر بما هو كائن مذكور

هـ – صدق الرسول الكريم أنه نبى مرسل من رب العالمين.

د – صدق القرآن العظيم فى أنه كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢ – أقسم الله بنفسه وذلك لعظم الأمور التى تستتبع القسم وتكون جوابا له من الرزق ويحث الناس للحساب وغير ذلك .

٣ – التدبر والتفكر فى صنع الله الذى يستوجب العلم والمعرفة لما فى الكون، والسجود لله عز وجل لإقسام الله عز وجل بالآيات العظيمة الداعية إلى ذلك ٠

٤ – الحرص على التمسك بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة٠

٥ – قد يتباين الشيء من خلال صفاته وما يتحلى به وبما فيه من عظيم قدرة الله المتعددة فى النعمة الواحدة كما هو فى السماء فأقسم بها مع ما تتحلى به فكان التباين فيما أقسم ليتناسب والمقسم به٠

(والسماء والطارق ــ والسماء ذات الرجع ــ والسماء ذات الحبك ــ والسماء ذات البروج ــ والسقف المرفوع)

فتعدد الجواب : (إن كل نفس لما عليها حافظ ــ إنه لقول فصل ــ إنكم لفى قول مختلف ــ إن بطش ربك لشديد ــ ان عذاب ربك لواقع) ليكون التناسب ووضع كل حرف وكل كلمة فى مكانها المناسب دليل على قدرته جل وعلا ٠

٦ – فائدة العلم فى بيان ما غمض علينا فهمه من القرآن الكريم وبيان العلاقة بين ما أقسم الله به وما أقسم عليه٠

فأنظر إلى قسم الله بمواقع النجوم وذلك لسرعة النجوم وأننا نرى موقعها التى مرت به وليس هى٠الجوار الكنس التى تعمل كعمل مكنسه شافطه لما علق فى الجو وهى كذلك موجودة واكتشف ذلك حديثا والنجم الطارق الذى يسمع له طرقات كنبض القلب وغير ذلك مما يجعل العاقل يسجد لعظمه الخالق ، مع تعظيم العلم والعلماء ٠

وفى ذلك دليل على عطاء القرآن الكريم المتجدد الذى لا ينقطع مدده ابدا٠

٧ – تباين مساعى الناس وتأكيد ذلك بالقسم بتباين الليل والنهار والذكر والانثى وهذا دليل على تباين الجزاء ما بين إثابه على الخير، وعقاب على الشر وعدم التسوية لاختلاف وتباين الأعمال٠

٨ – كثرة الأقسام بما فى الكون من مشاهد دليل على أهمية العلم والتفكر فى مخلوقات الله ٠

المراجع

١ – أسباب النزول للواحدى، دار المعرفة ٠

٢ – أسرار الكون فى القرآن ، د/داود سلمان السعدى ، دار الحرف العربى، ط ثانية ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م٠

٣ – إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية تحقيق وتصحيح محمد حامد الفقى،مكتبة عاطف بجوار مكتبة الأزهر القاهرة٠

٤ – الاتقان فى علوم القرآن لأبى بكر جلال الدين عبد الرحمن السيوطى المتوفى ٩١١ هـ وأسفل الصحائف إعجاز القرآن للقاضى أبى بكر الباقلانى ط ٠ رابعة ٠

٥ – الادب المفرد للإمام البخارى مراجعة /محمد فؤاد عبد الباقى دار النشر بيروت ١٩٨٩م ـ ١٤٩ هـ ٠

٦ – الإعجاز العددى للقرآن الكريم ، د٠عبد الرازق نوفل،أخباراليوم، قطاع الثقافة ٠

٧ – الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ٠ زكريا هميمى، مكتبة مدبولى ط ٠ أولى ٢٠٠٢ م٠

٨ ٠ التبيان فى أقسام القرآن لابن قيم الجوزية تحقيق ٠ محمد زهرى النجار، طبع ونشر المؤسسة السعدية بالرياض ٠

– الجامع لأحكام القرآن للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى القرطبى ت ٦٧١ هـ الناشر دار الغد العربى، العباسية ٠

١٠ – القاموس المحيط مجد الدين للفيروز ابادى، دار الحديث القاهرة ٠

١١ – المفردات فى غريب القرآن للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهانى ، أعده للنشر د٠ أحمد خلف الله ٠

١٢ – المفهوم العلمى للجبال فى القرآن الكريم، د٠ زغلول النجار مكتبة الشروق الدولية ط ٠ سادسة ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م٠

١٣ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى ، صححة محمد سالم محيسن، شعبان محمد اسماعيل، الناشر مكتبة الجمهورية العربية، مصر ٠

١٤ – تاج اللغة وصحاح العربية لأبى نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى ٠
١٥ – تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، المتوفى ٧٧٤هـ تحقيق عبد العزيز غنيم، محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا الشعب ٩٢ شارع قصر النيل القاهرة ونسخة أخرى ، خاصة بمكتبة التوفيقية٠
١٦ – تفسير زاد المسير لعبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى ط٠ أولى سنه ١٤١٤ هـ ، المكتبة الاسلامية بيروت ٠
١٧ – تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى، تحقيق عبد السلام محمد هارون وآخرين، القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤م٠
١٨ – جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى ت ٣١٠ هـ قدم له الشيخ خليل الميسى تخريج صدقى جميل العطار، دار الفكر العربى ٠وبهامشة غرائب القرآن، ورغائب الفرقان للحسن بن محمد بن حسين النيسابورى ط٠ أولى مطبعة الأميرية بولاق مصر ١٣٢٩هـ واعيد طبعة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م دار المعرفة بيروت لبنان٠
١٩ – جواهر الحسان لعبد الرحمن الثعالبى مؤسسة الأعلى، بيروت لبنان ٠
٢٠ – سنن أبى داود للإمام سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى، دار الفكر مراجعة محمد محيى الدين عبد الحميد ٠
٢١– روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، والسبع المثانى للعلامة أبى الفضل محمود الألوسى البغدادى المتوفى ١٢٧٠هـ ، تصحيح محمد حسين العرب باشراف هيئة البحوث والدراسات دار الفكر٠
٢٢ – شواهد الاعجاز فى البناء القرآنى، أ٠د عاطف قاسم أمين المليجى، ط ٠ أولى ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م ٠
٢٣ – صحيح مسلم بشرح النووى الإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى المتوفى ٦٧٦ هـ ، مؤسسة قرطبة ـ الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ـ القاهرة ٠
٢٤ – فى ظلال القرآن، بقلم سيد قطب ط الثالثة عشر ١٩٨٧م/ ١٤٠٧هـ، دار الشروق ٠

٢٥ – لسان العرب لابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن حبقة، تحقيق عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهشام محمد الشاذلى ٠

٢٦ – مختار الصحاح، لمحمد بن أبى بكر عبد الرازق، عنى بترتيبه السيد محمود خاطر، ط ٠ سادسة ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٣م٠

٢٧ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأحمد بن محمود النسفى، دار احياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابى الحلبى ، ونسخة أخرى خاصة بدار الفكر ٠

٢٨ – معالم التنزيل فى التفسير والتأويل لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى المتوفى ٥١٠ هـ دار الفكر، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م ٠

٢٩ – معجم كتاب العين، لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى ت ١٧٥، تحقيق د٠ مهدى المخزومى، د٠ إبراهيم السامرائى الجمهورية العراقية منشورات وزارة الثقافة والاعلام٠

٣٠ – معجم مقاييس اللغة لابن فارس لأبى الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى القاهرة٠